جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الأوضاع العامة لإقليم عسير خلال العصور الاسلامية الوسيطة والمتأخرة في ضوء الروايات المصدرية

إعداد

أ.د/ محمد بن منصور الحاوي
الأستاذ بقسم التاريخ والآثار
في كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة الملك خالد/ أبها

(العدد السابع والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الأوضاع العامة لإقليم عسير خلال العصور الاسلامية الوسيطة والمتأخرة في ضوء الروايات المصدرية

محمد بن منصور الحاوي

قسم التاريخ والآثار، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك خالد، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: mhawi@kku.edu.sa

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى مناقشةِ، وتفنيد ما ذهبت إليه – زوراً – بعض المؤلفات، والمدونات المجهولة التي تتحدّث عن تاريخ سياسي مزعوم لبلاد عسير خلال العصور الإسلامية الوسيطة، والمتأخرة–أي قبل دخول عسير تحت سلطة الدولة السعودية الأولى– وغلب عليها الزيف، وتفشّت فيها النصوص المصطنعة، واخترقها الاضطراب، والمبالغة، وحشاها مُنتحلوها بالكثير من مختلقات الحوادث، وركبُوا فيها العديد من الرّوايات، والشُخوص، ووظفوا ذلك في الادّعاء – باطلاً – بقيام سلطةٌ سياسيّة، وإمارة حاكمة في إقليم عسير سراتهُ، وتهامته، امتدت خلال العصور الإسلامية الوسيطة والمتأخرة من أطراف اليمن، والمخلاف السليماني، وجميع تهامة الشامية إلى الطائف غرباً، وأكثر بلاد العارض شرقا، كماتعرّضت هذه الدراسة لمناقشة، وردّ جوانب مما ورد عند بعض المعاصرين من الباحثين، الذين اغترّوا ببعضِ ما روّجتْ له بعض تلك المدونات، فحاولوا الإيهام بوجود إمارة لليزيديين، أو الذين سعوا إلى تمحّل بعض الإشارات هنا وهناك عن وجود نشاطٍ علميٍّ، وأُسر علمية في هذا الإقليم قبل ظهور أسرة العلامة محمد بن موسى العجيلي الزَّبيدي في بلدة رُجال في تهامة عسير . وكان المُعتمدُ في تفنيد هذه الأقوال والآراء التي روّجت لها تلك المؤلفات، والمدونات، والأبحاث؛ هو التوثيق من مصادر معتبرة، وموثوقة، ومعاصرة للحدث، بنقل العديد من نصوصها في كلّ قرنٍ من القرون الإسلامية منذُ الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلى دخول عسير تحت سلطة الدولة السعودية في صدر القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي . وتتضمن هذه النصوص أدلّةً واضحة ودامغة على عدم وجود أيّ سلطة سياسية حاكمة لا لمن يسمّون بالأمراء اليزيديين، ولا غيرهم؛ عدا سلطة القبيلة، وشيوخها.

الكلمات المفتاحية: عسير، إمارة اليزيديين، المؤلفات المزيفة، المصادر اليمنية، الحياة السياسية، آل الحفظي العجيلي.

General conditions of Asir region during the middle and late Islamic eras in light of the source narratives

Muhammad bin Mansour Al-Hawi
Department of History and Archaeology, College of Arts and Humanities, King Khalid University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: mhawi@kku.edu.sa

Abstract:

This research seeks to discuss and refute what some anonymous books and blogs have falsely claimed about an alleged political history of Asir during the Middle and Late Islamic eras - that is, before Asir came under the authority of the First Saudi State - and which was dominated by falsehood, and in which fabricated texts were rampant, and infiltrated by confusion and exaggeration, and its impostors filled it with many fabricated incidents, and they mounted many narratives and characters in it, and employed that in claiming - falsely - the establishment of a political authority and a ruling emirate in the Asir region, Sarat, and Tihama, which extended during the Middle and Late Islamic eras from the outskirts of Yemen, the Sulaymani district, and all of Tihama al-Sham to Taif in the west, and most of the lands of Al-Aridh in the east. This study also discussed and responded to aspects of what was mentioned by some contemporary researchers, who were deceived by some of what Some of these blogs promoted it, and they tried to give the impression that there was an emirate for the Yazidis, or those who sought to conceal some indications here and there about the existence of scientific activity and scientific families in this region before the emergence of the family of the scholar Muhammad bin Musa al-Ajili al-Zubaidi in the town of Rijal in Tihama Asir. The reliance in refuting these statements and opinions that were promoted by these writings, blogs, and research was documentation from reliable, trustworthy sources that were contemporary with the event, by transmitting many of their texts in every Islamic century since the third Hijri/ninth century AD until Asir came under the authority of the Saudi state at the beginning of the thirteenth century AH/eighteenth century AD. These texts include clear and conclusive evidence of the absence of any ruling political authority for those called the Yazidi princes, or others; except for the authority of the tribe and its sheikhs.

Keywords: Asir, Yazidi Emirate, Forged Writings, Yemeni Sources, Political Life, Al-Hafzi Al-Ajili Family.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاةُ والسلامُ على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: فيعدُّ التزوير، والتزييف في التاريخ أمرٌ خطيرٌ لأنّه يؤدي إلى تغيير الوقائع التاريخية، وحقائقها الثابتة سواءٌ ما يتعلّقُ منها بتاريخ بلدانٍ، وجماعات، وأحداثٍ، أو يتناول تاريخ أفرادٍ وشخصياتٍ مهما كانت من إيجابيات أو سلبيات، وذلك بتغطيتها بسرابٍ بقيعة، وإلباسها لبوساً ذي بريقٍ زائف؛ وإبرازها في حللٍ قشيبةٍ خادعة، من خلال الإختلاقِ، والتركيب، والدّسّ والتبديل لأحداثٍ، ووقائع مزيّفة، وشخوصٍ ليس لهم وجودٌ في واقع الأمر؛ وهذا شيئٌ ليس بجديدٍ في تاريخنا العربي، والإسلامي؛ ومن ثمّ فليس إقليمُ عسير بِدعاً في هذا الجانب؛ لكنّ المدهشَ فيه هو كيفَ تهيأ لأولئك الذين نسجوا تلك المدونات، وحشوها بذلك الكم الهائل من المختلقات، ثم مزجوها بكلّ دهاءٍ ببعض الأحداث، والشخوص التي لها بعض وجود في أرض الواقع التاريخي، ثم دسُّوا فيها منظوماتٍ شعريّةٍ موزونةٍ ومقفّاة، كما زرعوا وريقات بين بعض مؤلفات آل الحفظي، ونحلوا مدوناتٍ أُخرى على أنّها مذكراتٍ، ورسائلَ لأشخاصٍ منهم مغمورين، غير مذكورين ولا معروفين؛ وذهبوا يُروجون لها، وينشرونها بشتى السُّبل، والوسائل حتى اغترّ بها بعضُ الباحثين والمؤلفين على اختلاف طبقاتهم، وتخصصاتهم ممن أعوزهم بُعد النّظرِ في ماجريات هذه المدونات والمؤلفات، وافتقدوا للحسّ النقدي التاريخي، والعُمق في البحث، والصبرِ على الغوصِ في محتويات المؤلفات التاريخية لعلماء، ومؤرخين في البلاد المصاقبة لهذا الإقليم؛ أو ممن ركبوا مطيّة العصبيّة، والانحياز والميول[1] .

والهدف أولاً من هذا البحث هو الدلالة من خلال نصوص المصادر الأولية الموثوقة، والموثّقة على زيف ادّعاء تلك المدونات التي ذهبت إلى وجود سلطة سياسية حاكمة خلال العصور الإسلامية الوسيطة والمتأخرة في هذا الإقليم، وسعت إلى تركيب أحداثٍ، واختلاقِ أسماء أمراء وشخصيات خيالية

لا وجود لها إلاّ في مخيلة أولئك المدونين الزائفين.

وثانيا : بيان خطل، وافتئات فئة من الباحثين علمت ما في هذه المُؤلفات من زيف، واختلاق؛ ولكن ساقهم التعصّب، والنظرة الإقليمية القاصرة، والفجيعة بأن يكون إقليمٌ واسعٌ مائجٌ بأهله وساكنيه لا يوجدُ له زخمٌ تاريخيّ مستمرٌّ، وحكومات وإمارات كغيره من البلاد المحاددةِ له، والمشتركةِ معه في الامتداد الجغرافي، والتركيبة السكانية؛ فاسترقّته العاطفة، وقادته النّظرة الإقليمية الضيّقة، واختلبته العصبية المقيتة، والجهل بهذه النصوص، ومصادرها إلى الانسياق تارةً جهرةً، وأُخرى من طرفٍ خفيٍّ إلى دعاوى غير مستساغة، ولا تقومُ على أي دليلٍ حقيقي، أو بيّنة قويّةٍ واضحة، ولا تنهضُ بها حُجّة؛ بل لا تتجاوزُ اجتهادات، ومقاربات ضلّت سُبل النهج السويّ، والمنهجية العلمية السليمة في التحليل، والتعليل والاستنباط.. ومن أسفٍ أنّها ترددت عند بعض الباحثين والكتبة المعاصرين؛ وما زال يلوكها، ويُدندنُ حولها بعضٌ آخر من طبقة العامّة . كما قام هذا البحثُ على تتبعِ تلك المؤلفات، والمدونات، ومقارنة ما ورد فيها قرناً قرناً منذُ بداية العصور الاسلامية الوسيطة وحتى القرن الثالث عشر الهجري بما في ورد في المصادر الموثوقة، والمعاصرة للأحداث التي نقضت نُصوصها تلك الروايات المختلقة روايةً رواية، وفصمتْ عراها عُروةً عروة؛ وكانت هي المُعتمدُ في تفنيد تلك الأقوال، والمرويات، والآراء التي روّجت لها تلك المؤلفات، والمدونات، والأبحاث؛ وقد نهجتُ في هذا طريقاً يقوم على ذكرِ نصوص كلّ قرنٍ من القرون الإسلامية منذُ الثالث الهجري/التاسع الميلادي إلى دخول عسير تحت سلطة الدولة السعودية في صدر القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، مع مقارنتها بما ورد في تلك المُزيّفات للوقوف على مواضع الخلل فيها . ومن ينظرُ في هذه النصوص المصدريّة سيقف على أدلّةٍ واضحة، وحُججٍ دامغة على عدم وجود أيّ سلطة سياسية حاكمة لا لمن يسمّون بالأمراء اليزيديين، ولا غيرهم؛ عدا سلطة القبيلة، وشيوخها؛ وسيتبيّن حالة الصراع،

والفُرقةِ، والعداوات، والإحن التي كانت تضربُ أطنابها بين قبائل الإقليم، وتدمغُ علاقات بعضها ببعض؛ ناهيك بما حملتهُ بعض نصوصها من سُقم البيئة العلمية، والفكريّة خلال هذه الفترة، وأنّها ليست كما يُصوّرها بعضُ الباحثين؛ وذلك قبل الحِراك السياسي، والنهضة الفكرية، وتصحيح العقيدة ، وتنقيتها التي أوقدها بعد فضل الله تعالى إنضمام عسير إلى كنف الدولة السعودية الأولى، والدعوة الإصلاحية التي طبّقّت عسيرَ منذُ سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م، وانتقلت بأهله – كما سبق القول – من ظُلمة الجهل إلى نور العلم، وأضحوا أحد أعمدة الدولة؛ وقد عرّجتُ في عقبِ البحث إلى تبيان أثر علماء آل بكري العجيلي في النهوض بالحياة العلمية، والفكرية، والأدبية في هذا الإقليم .

مدخل:

يُعدّ إقليم(منطقة)عسير الذي كان يُعرفُ قديماً بـ"جُرش"، والسراة[٢] أحدُ أقاليم الجزيرة العربيّة في العصور الاسلامية الوسيطة، وإن كان قد بدأتْ أهميّته بعد ضمّه إلى الدولة السعودية الأولى التي امتدّ سلطانها من البحر إلى البحر، ومن اليمن إلى تخوم العراق، والشام في أقصى اتساع لحدود هذه الدولة الفتيّة خلال النّصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي قبل أن تتقوّض نتيجة اجتياح جيوش محمد علي باشا لعاصمتها الدرعية بأمر الدولة العثمانية عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م . ومن المعلوم أنّ عدداً من المنتسبين إلى هذه البلاد من الأزد، ومذحج، وغيرهم قد وفدوا على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم، والتحق بركب الدولة الإسلامية الأولى في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وخلفائه، وكان لهم أثرهم في المشاركة في حركة الفتوحات الاسلامية الأولى[٣]، ومن ثمّ تفرّق هؤلاء في شتى البلاد الإسلامية المفتوحة، ولم يعودوا إلى بلادهم، ونتيجةً لذلك افتقدت عوامل الديمومة لهذا الحِراك، وران على ساكنيه من خمول، وانكماشٍ في بلدانهم، وانغلاقٍ على أنفسهم، وانشغالٍ بمعايشهم،

وانغماسٍ فيها حتى أنستهم الهمّة في طلب العلم، والرّحلة لأجله.. مع طبيعة أرضهم الجبلية القاسية؛ كلّ ذلك، وربما غيره من أسباب قد أدّتْ بهم إلى ما يسميه بعض الباحثين بالعتمة، والفجوة القاتمة، وتوقّف حركة التاريخ عندهم طيلة العصور الوسيطة، وحتى القرون المتأخرة؛ وهذا سببٌ وجيه في أنّها لم تشهد نهضةً علميّةً، ولم يهتمّ أهلها بالعلم، والتعليم حتى العصور الحديثة – كما سيأتي بيانه – وعندما هبط فرعٌ من العُجيليين أهل بيت الفقيه في زبيد إلى رجال ألمع أواخر القرن العاشر، وأوائل الحادي عشر الهجريين أوقدوا جذوةً يسيرةً في جزءٍ من الإقليم الواسع؛ وما لبث أن أشرقت عليها شمس الدولة السعودية، والدعوة الإصلاحية بمشعل التوحيد، فأشعلت في هذا الإقليم شُموع المعرفة، وحرّكتْ فيه التاريخ الرّاكد، ونفضت عن إنسانه ما ران عليه من الجمود، فأضحت بلاد عسير متوهجةً مشاركةً في حركة البناء والحضارة .

ولأجلِ الخروج بدراسة نقديّة موثّقة فقد استبطنتُ على مهلٍ كلّ ما وقعَ تحت يدي من المصادر وبخاصة المصادر اليمنية المعاصرة الموثوقة، ومؤلفات آل بكري بن محمد بن موسى العجيلي المخطوطة منها على وجه الخصوص ، وغيرها مما تيسر لي الاطلاع عليه قدر المستطاع؛ وبذلتُ الوسع في التنقيب، والتنقير في هذه المصادر، والمدونات علّني أجدُ ولو إشارةً إلى شيءٍ من إمارةٍ أو دولةٍ قامت في بلاد عسير والسراة قبل القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر ميلادي، وانضمامها تحت حكم الدولة السعودية الأولى فلم يتيسّر ذلك؛ بل وجدتُ مادةً علميّة وإشاراتٍ كثيرة إلى أنّ هذه البلاد كانت منغلقة على ذاتها، يسودُ فيها النظام القبلي والعشائري فقط، وأهلها منكفئون على أنفسهم، مهتمون بخصوصياتهم، منصرفون إلى حيواتهم، ومنشغلون بمعايشهم؛ وكان لكلّ قبيلة استقلالها، ونظامها القبلي في الموضع الذي تسكنه، وشيوخها، وأعرافها، وحدودها عن القبيلة الأخرى[٤]. وعليه فقد كانت العداوات، والإحن، والصراعات والحروب، والنهب والسلب هو الغالبُ على العلاقة بين القبائل بعضها

البعض[٥]، والتي تقود في أحيانٍ كثيرة إلى حروبٍ وسفك الدماء، بسبب طمع بعضها في أموال بعض؛ ونتيجةً لعدمِ وجود حكومة ينضوون تحتها كانت بعض القبائل تُسارع إلى تقديم خدماتها الحربيّة بأجرٍ لمن يطلبها من القوى السياسية من خارج بلاد عسير كأئمة اليمن، وأمراء المخلاف السليماني، وغيرهم . وقد حاولتُ في هذا البحث جمع النصوص من مظانّها، والتأليف بينها، مع اتباع المنهج التاريخي في التحليل، والتعليل، والمقارنة في بعض مواضع ومفاصل هذا البحث . وإن كُنتُ قد قصدتُ في المقام الأول الجمع لكلّ ما وقع تحت يدي من هذه النصوص المصدريّة كأدلّةٍ لدحض تلك الدعاوى الباطلة حول وجود سلطة سياسية قائمة في هذه البلاد؛ ولتكون هذه النصوص كمادة أولية بين أيدي الباحثين والمهتمين لمن رغب التوسّع في دراسة هذا الجانب من تاريخ عسير والسراة . ولكثرة النصوص والأدلّة الموثوقة من المؤلفات المصدريّة رأيتُ أنّ الأمر سيطول، والبحث سيتسع، فاقتصرتُ على إيراد بعضها فقط متنقلاً بين العصور، فأذكرُ بعض الأمثلةِ دون استيعاب لكلّها، ففي القليل ما يدلُّ على غيره، ويكفي من القلادةِ ما أحاط بالعنق . ومن هذه الدعاوى إيمانهم بوجود إمارة لليزيديين المنتمين لبني أمية في عسير أو كما يسمونها مخاتلةً بـ"الكيانات القبلية الكبرى"، ولكن سكتت المصادر – بزعمهم – عن ذكرها، والإشارة إليها، ويستدلّونُ قياساً بإمارة بني حرام في حلي بن يعقوب، وتستدرجهم الجهالةُ بالمصادر إلى القول بأنّ ابن بطوطة وحده هو من أشار إليها، ومن ثمّ ينسحبُ هذا على إمارة اليزيديين التي سكتت المصادر عنها بسبب انتمائهم إلى الأمويين، ونتيجة قيام أتباع الدعوة الإصلاحية بإخفاء، وتدمير المصادر العسيرية القديمة التي تحدثّت عنها، وأرّختْ لها– كما سيأتي بيان ذلك – ثمّ اتكاؤهم على مؤلفات تسرّب إليها الكثيرُ من الزيف، وخالطها الاختلاق حتى أذهب معالم الصواب فيها، وسبقت الإشارةِ إلى بعضها؛ وعليه فقد ذهب ثُلّةٌ من الكَتَبَة المعاصرين إن بقصد عصبيّة وميل عن الحقّ، أو عن قلّة علمٍ، وقصرِ باعٍ في البحث والتمحيص، أو نتيجة اغترارهم ببريق

نصوصها المخادع حتى أفقدهم حاسّة التبصّر، والبصيرة؛ فانجرّوا إلى الترويجِ فيما كتبوه عن عسير لهذه الإمارة المُختلقة، والانغماس في ترديدِ ما نظموه فيها؛ وركّبوا سلاسلَ من الشخصيّات الوهمية بزعمها كانت تحكمُ في إقليم عسير، سراته وتهامته الأدنى[٦] أكثرّ من عشرة قرون[٧]؛ وهذه جهالةٌ جهلاء، وضلالةٌ عمياء، وادّعاءٌ باطلٌ لا أصل له، ولا يستقيمُ لمن يحاول الاجتهاد، والمقاربة من خلال الرّبط بين إمارة "حلي"، وما يزعمه من إمارة لليزيديين في عسير[٨]. فعلى الرّغم من أنّ إمارة بني حرام في حلي بن يعقوب لا تُقاس بما أضفته مصادرهم المزيّفة من هالة عُظمى على إمارتهم المزعومة في عسير؛ فإنّ إمارة بني حرام إمارة معروفة، وحقيقية؛ وكانت قائمة في الإقليم منذُ العصور الاسلامية المبكرة، واستمرّت حتى العصور المتأخرة؛ ووردت الإشارةُ إليها في المصادر المكيّة، واليمنية، ومصادر تاريخ المخلاف السليماني، وغيرها[٩]. ثمّ إنّ الباحث الصّبور، والقادرِ على استبطان ثنايا المصادر سيجدُ كثيراً من الإشارات، والمادّة العلميّة عن هذا الإقليم، وبخاصّة ما كان منه متاخماً للحجاز، واليمن. وهو ما سوف يسعى هذا البحث المتواضع لإبرازه، والتنويه به . ولعلّ من العجب العجاب ما ورد في تلك المدونات المزيّفة، ونقله بعضُ الباحثين دون بصيرةٍ، أو أثارةٍ من علمٍ، ودليلٍ واضحٍ جليٍّ موثوق من أنّ هذا الإقليم قد دخل تحت سلطة الدول ، والسلطنات التي قامت في مصر، وامتدّ بعض نفوذها إلى الحجاز. وعلى سبيل المثال ما ورد عند وهبي الحريري[١٠]، وعبدالله أبي داهش[١١]، وقبلهم محمود شاكر[١٢]، وعمر غرامة[١٣] أنّ نفوذ الدولة الطولونية، وحُكمها قد امتدّ حتى وصل الى عسير، وكذلك حَكَمها خلفاء الدولة الفاطمية، وسلاطين الدولة الأيوبية حتى سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م، وتأخذك الدّهشة من تماديهم في الباطل عندما زعموا أنّ صلاح الدين الأيوبي قد طلب في سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م من أمير عسير في زمنه سليمان بن موسى اليزيدي الأموي أن يُزوّده بقوات – كذا– لدعمه في إخراج الصليبيين من فلسطين، وبناءً على طلبه بعث جيشاً قوامه(١٤) ألفاً من

قبائل عسير بقيادة الفارس مالك بن سنان المريدي...[١٤] .. ثم سادتها الفوضى، ووليها عددٌ من الأمراء والمشايخ إلى أن حكمها المماليك سنة ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م . وهذا من الغرائب؛ فكيف يحكمها المماليك في مرحلة انكماشهم، وسنة سقوطهم، ونهاية دولتهم؟![١٥] .

على أنّ الإنصاف يقتضي أن نشير إلى أنّ هناك باحثين أدركوا خطل من ذهب إلى وجود كيان سياسي قائم ومتوارث عبر العصور الإسلامية في عسير، ونحَو إلى أنّ هذه المنطقة عاشت في عتمة حالكة منذُ أواخر القرن الرابع الهجري حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري[١٦].

والمنطلق الثاني لهذه الدراسة هي أيضاً دعواهم التي تدور حول أنّه كانت هناك مؤلّفات تتعلّق بتواريخ وتراث إقليم عسير والسراة، قد ضاعت، وأُتلفت إمّا نتيجة الإهمال، وعدم الاكتراث؛ أو نتيجة لبعض الكوارث الطبيعية وغير الطبيعية كالحروب العسكرية التي تعرّضت لها عسير[١٧]؛ ومنهم من ينظر بتوجس، وسوء ظنّ إلى انعدام وقلّة المادة العلمية عن تاريخ عسير في الفترة التي سبقت وصول الدولة السعودية الأولى، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عسير، وينسبُ هذه العتمة التي رانت على تاريخ عسير – المزعوم – والغموض الذي لفّ تاريخ الاقليم قبل وصول الحركة الوهابية– وفق قوله – ومومئاً من طرفٍ خفيّ إلى أنّها السبب فيما وقع لهذا التاريخ من اجتثاث للماضي بجميع " أشكاله وصوره" والانعتاق مما يتعلّق به فكرياً وثقافياً، واجتماعياً؛ ويربطُ ربطاً عجيباً غير مستساغٍ بين فكر، ونهج هذه الدعوة، وإلصاق إتلاف تلك المصادر التاريخية والتراثية العسيرية القديمة التي أرّخت لذلك الإرث السياسي والحضاري العسيري المهم، والفاعل – بزعمهم – عن قصدٍ بقدوم الجيش السعودي، والدّعوة الإصلاحية، حيث – يرون – أنّها أسهمت وبما تحمله، ويحمله دعاتها وعلماؤها، ورؤوسها من فكر، ونهجٍ يقوم على خلع الماضي المظلم، واستبداله بحاضر الدعوة في استهداف هذا الإقليم دون غيره فأمروا– من ثمّ – بإحراق واتلاف كتب

التاريخ والتراث العسيري[١٨]، وينزعون إلى أنّ هذا هو التفسير لعتمة تاريخ عسير قبل الدعوة، والدولة السعودية الأولى ؛ويرون أنّه ونتيجة لهذا الفكر الذي حمله هؤلاء إلى عسير فقد تأثّر به أهلها وانعكس ذلك في قيامهم بالتخلّص مما في أيديهم من تراثٍ علمي، ومؤلفات، وفكر وأدب، وثقافة مكتوبة[١٩]. ولكي يُرسّخ هذا الرأي فقد بالغ في تمحّل الأدلة، وحاول التعلّق بخيطٍ هو أوهى من خيط العنكبوت عندما أبعد النّجعة فاستدلّ – فيما يُشبه المقاربة، والقياس– بما ذكره ابن عبد الشكور، من أنّ جيش الدعوة قام حينما دخل الطائف بإتلاف أحمال من الكتب، وإحراقها[٢٠]؛ وذهب بعيداً فاستدلّ بما ورد عند بوركهارت من أنّهم قد صادروا كثيراً من الكتب عندما دخلوا مكة المكرمة، والمدينة المنورة. على أنّ من يتأمّل النّص المترجم سيجد بوركهارت قد سبقه بلفظ التضعيف " يُقال"[٢١]؛ هذا من جانب، ومن جانبٍ آخر لا يمكن مقارنة المدينة المنورة بأهميّتها، ومكانتها كإحدى المدينتين المقدستين، وكونها من أهم الحواضر الاسلامية، وما حفلت به من علماء، ومكتبات مشهورة بعسير بمجموع قراها كافّة .

وعلى الرّغم من أنّ هؤلاء الباحثين قد ساقوا نماذج مما استهدفته الدعوة من مؤلفات وهي لا تخرج عن الكتب العقدية التي تحمل شطحاتٍ تخرجُ عن العقيدة النقيّة، أو كتب الصوفية، والزيدية؛ ومع اليقين بأنّ بعضَ دعاتها اشتطّ في السعي إلى نبذها كلّيّةً، واتخذ الجهلةُ من أتباعها موقفاً حادّاً منها، على غير علمٍ منهم بفحواها، ولا إحاطةٍ بمحتواها؛ إلاّ أنّ هاته الفئة من الباحثين تُصرّ على لي عُنق هذه النصوص وغيرها، وعبر مقاربة فجّة تذهب إلى إسقاطها بشكلٍ أو بآخر على عسير! وحتى يستقيم لها هذا الزّعم فإنّها تقفزُ قفزات زمنية من الدولة السعودية الأولى إلى ضمّ الملك عبد العزيز عسيرَ إلى نفوذه، وتتكئ على رواية هامشية لا تقومُ بها حجّة، ولا يعضدها نصٌّ مصدريٌّ، وإنّما هي توهمات وردت في حواشي كتابين[٢٢] تقول بأنّ أحد الشيوخ القادمين إلى عسير في أواخر السبعينيات الهجرية – المنتمين إلى مدرسة الامام ابن عبد الوهاب –

قد أمر بإحراق بعض الكتب، والمصاحف في المساجد، محذّراً ممّا فيها من مخالفات عقديّة؛ وقد أدّى ذلك ببعضهم إلى التخلّص مما في مكتباتهم من مخطوطات..الخ[٢٣]، ويذكر بن زلفة أن أحد شيوخ آل الحفظي قد أخبره عندما زار قرية "عثالف" أنّ بعض الرّوايات تُشيرُ إلى أنّ معظم الكتب[٢٤] ولظروف معيّنة – لم يحبّ الافصاح عنها– قد طُمرت، ورُدم عليها التراب في بركة قريبة من مسجد آل الحفظي، ومدرستهم[٢٥]، وحتى لو غضضنا الطرف ومرّرنا هذه الروايات الشفهية فلن تتعدى هذه المردومة والمحروقة كتب غُلاة الصوفية ككتب بن عربي، والشعراني، وغير ذلك من كتب أهلِ البدعة مما كان موجوداً في مكتبة هذه الأسرة؛ والتي جمع منها العلامة أحمد بن عبد القادر الحفظي(ت١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م) وآباؤه من قبله الكثير. واستفاد منها في مؤلفاته التي مازالت مخطوطة[٢٦]؛ ومع وصول الدعوة السلفية إلى عسير سنة١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م تخلّصوا منها، مثلما تم هدم القبب التي كانت على قبور آبائهم[٢٧]؛ وقد لا تعدو كذلك أن تكون مصاحف قديمة مهترئة، وممزقة، أو كتب ووثائق ذات طابع شرعي مما يمكن أن يكون قد أصابته الأرضة، وأصحابها وفقهم الله إلى تطبيق السنّة في التعامل معها. ومعلومٌ أنّ ما درج عليه الناس، وما يُفتي به العلماءُ إلى زماننا هذا أن يتم إحراقها، أو دفنها إكراماً وصيانةً لما فيها من آياتٍ، وأحاديث نبوية، وما في حكمها، وهم إنما كانوا يطبقون مقتضى هذه الفتاوى الشرعية[٢٨]. ومن خلال ما سبق يتضحْ أنّ تلك المؤلفات التي تلفِت أو أُتلفت كلّها مؤلفات ذات طابع عقدي أو صوفي خاصّةً وأنّ التصوّف كان موجوداً في الإقليم[٢٩]؛ أو من كُتب الزيدية التي كانت أيضاً منتشرة بين الناس، في بيوتهم، وفي مساجدهم[٣٠]؛ وكلُّ ذلك لا صلة له بتاريخ اليزيديين ولا غيرهم في عسير؛ فهذه من التخمينات الباطلة، والاجتهادات الضحلة التي أسّسوا عليها – عندما أعوزهم الدليل الصريح الموثوق– تلك المزاعم من غموض الواقع التاريخي في عسير قبيل وصول الدعوة الاصلاحية إليها. ومن الغريبِ أن تجدهم يرجعون

هذه الإدعاءات أحياناً إلى بعض المدونات المنسوبة إلى بعض آل الحفظي، كمذكرات جعفر الحفظي[٣١]، وابراهيم بن علي زين العابدين الحفظي[٣٢]، ويستمدّون منها في تغذية أوهامهم بأنّ هناك إمارةً ما، أو دولةً ذات سيادة وزعامة قبيل الدولة السعودية الأولى في إقليم عسير، وفي الوقت نفسه ينبذون، ويتنكرون لنصوصٍ أخرى، أوثَق، وأصحّ وردت في مؤلفات بعض علماء هذه الأسرة مما سوف أذكرُ أمثلةً منه في ثنايا هذا البحث إن شاء الله تعالى .

التعريف بـ"عسير" إنساناً، وموطنا:

اختُلف في مسمى" عسير"، ونسبتها إلى الأزد، أو غيرها كثيرا؛ فمنهم من يذهب إلى أنّ هذا المسمى مشتقٌّ من العسر نتيجة صعوبة مسالكها، وكثرة تعاريجها[٣٣]، والبعضُ لا يرى أصلاً قديماً لهذه التسمية، وأنّ المسمّى حديثٌ جداً[٣٤]،بينما يذهب الهمداني إلى أنّه عسير بن إراشة بن عنز بن وائل[٣٥]، ويرى الأشعري أنّ "عسير" سُمي بذلك لأنّ أمّه تمخّضت به أيّاماً ثلاثة، وتعسّرت ولادته فسُمي عسيرا[٣٦]، ولعلّ العلامة المؤرخ حسن بن أحمد الضمدي المشهور بـ"عاكش" قد اتكّأ عليه عندما ذكر أنّ "عسير" هو بن عبس بن شحارة، وأنّ نسبه ينتهي إلى عك بن عدنان[٣٧]؛ ومن الغريب أنّ ابن الكلبي عندما ذكر ولد عنز بن وائل لم يذكر فيهم "عسير"، بل ذكر "عُشير"[٣٨] – بالمعجمة بعد المهملة– وهذا الإضطراب بين المؤرخين في نسبة عسير، مع عدم ورود هذا المسمّى في المعاجم الجغرافية والبلدانية المشهورة[٣٩]، والمعروفة يُرجحّ فرضيّة أنّ المسمى ليس عَلماً على مكان بل هو مسمى لقبائل تنتمي إلى عنز كما يذكر الهمداني[٤٠]،أو تدخل بعض مواضعها تحت مسمى "السروات"[٤١]، ثم أضحى في العصور المتأخرة، وخاصة في عهد النفوذ العثماني يُطلق– جزافاً–، ونتيجةً لتقسيمات إدارية عثمانية على بلاد شاسعة، لا تنتمي أصلاً إلى عسير القبيلة، بله مواضع سكنها، ووجودها[٤٢]. ومن الغرائب أن ينساق بعضهم – بغير علمٍ ولا هدىً، ولا كتابٍ منيرٍ– إلى مدّ حدود الإقليم جنوباً حتى ميدي على الحدود

اليمنية[٤٣]، مُلغياً بذلك إقليم المخلاف السليماني المشهور، ومُدرجاً كلّ مدنه، وقراه، ومناطقه– وبكلّ جهالة – ضمن إقليم عسير[٤٤]،متغاضياً –هذا البعض عن قصد– للبعد السياسي، والحضاري، والثقافي، والحدود الجغرافية لإقليم المخلاف السليماني المعروفة، والمشهورة في المصادر التاريخية، والبلدانية القديمة.

وعلى كلّ حال، ونتيجةً لهذا الإضطراب في ربط الإطار المكاني للمسمى بالبعد القبلي له يبدو التردّد عند الشيخ هاشم النعمي واضحاً في الجزم بحدود الإقليم المكانية، فيذكر أنّ مسمى عسير يشمل سكّان البلاد الممتدة شمالاً من بلاد بللحمر، ومحايل إلى قحطان والحزون الغربية الجنوبية المتاخمة لدرب بني شعبة في المخلاف السليماني، وشرقاً بلاد شهران، ومن الغرب حتى القحمة، وتثليث المتاخمة لسواحل البحر الأحمر، وجنوباً حتى ظهران المعروفة بظهران الجنوب في قحطان، ونجران، ويتبعها إدارياً قحطان، وشهران، وبللسمر، وبللحمر، وشهران، وبنو عمرو، وبنو شهر، وبارق، ومحايل، وقنا. ولأنّ هذه القضيّة مما يطولُ الحديثُ فيها، ويتشعّب على غير بصيرةٍ، ولا دليلٍ واضحٍ ثابت؛ فقد اعتمدتُ حدود الإقليم الإدارية لهذا المسمى في العصر الحاضر، منذُ دخولها تحت حكم الملك عبد العزيز رحمه الله، وما بعد ذلك مما يدخل تحت النطاق الحدودي لمنطقة عسير الواقع بين حدود منطقتي مكة المكرمة، والباحة شمالاً إلى الحدود الإدارية لمنطقتي جازان، ونجران جنوباً، فالحدود الإدارية لمنطقة الرياض شرقا، وسرتُ عليه في بحثي هذا[٤٥].

الأوضاع السياسية في عسير خلال العصور الاسلامية الوسيطة

رغم محاولات بعض الباحثين المحدثين البحث عن أملٍ، أو إشارةٍ ولو ضعيفة ترفدُ النظريّة التي افترضوها مسبقاً قبل أن يجدوا دليلاً ثابتاً موثوقاً بعيداً عما سبقت الإشارة إليه من المدونات، والمؤلفات المزيّفة، والمختلقَة، مُتوسلين في هذا، ومعتمدين على بعض المقاربات، والمقارنات، والإجتهادات؛ بُغية الوصول إلى نتيجةٍ – وإن كانت هشّة – تدور على وجود حكومة، وتحاول ترسيخ فكرة قيام سلطةٍ سياسيةٍ في هذا الإقليم منذُ بدايات العصور الإسلامية الوسيطة . لكن أمام ما سأسوقه من نصوص ثابتة وردت في مصادر موثوقة، ومعاصرة لهذه الحقبة الزمنية ستنهار كلّ تلك المحاولات للإدعاء بوجود سلطة سياسية حاكمة في إقليم عسير؛ ولستُ أدّعي أنّ كلّ هذه النصوص التي ستُضمّن هنا هي مما لم يعلم به بعضُ هؤلاء الباحثين، بل ربما علموها، ولكنّهم تجافوا عنها، وأهملوها، وغضّوا الطّرفَ عن التأمّلِ فيها، واستنطاقها لمعرفة ما ترمي إليه، وتوضّحه، وتُفصحُ عنه من حقيقة وواقع الأوضاع العامّة سياسية وغيرها في عسير. وعلى الرّغم من أنّ هذه النصوص من الكثرةِ والوضوح الذي وردتْ به في المصادر إلاّ أنّهم لم يلتفتوا اليها، ولا احتفلوا بها، وأولوها ما تستحقه من العناية؛ بل ذهبوا إلى محاولة الترسيخ بوجود سلطة وهميّة مبدؤها ومنطلقها "آل يزيد الأمويون" الذين هرب جدّهم من الشام – في زعم تلك المؤلفات الزائفة، ومن اغترّ بها– إلى عسير، ومن ثم أسّس له إمارةً توارثها عقبه، وحكموا من خلالها كلّ بلاد عسير، وما جاورها عبر عدّة أدوار لهذه الأسرة وُصولاً إلى عهد الأمير محمد بن أحمد اليزيدي الأموي الذي تقوّضت بمقتله إمارة اليزيديين سنة ١٢١٥هـ على يد أتباع الدولة السعودية الأولى[٤٦]. ولستُ هنا في غرضِ مناقشة انتسابهم إلى يزيد بن معاوية الخليفة الأموي، لأنّ قضايا الإنتساب إلى عموم بطون قريش، ومنهم بنو أميّة أضحت ظاهرة، وذات شجون لأمور: منها أنّ هذا مما عمّ وطمّ، وذاع وانتشر، وكثر الاختلاقُ فيه، واختلط المكذوب مع بعض

الحقيقة، حتى فاض عن الحدّ قديماً وحديثاً؛ ومنها أنّ الرّوايات المضطربة، والمتضاربة قد حفّت، وأحاطت بالكثير من الدعاوى؛ ولأنّه قد ثبت أنّ في اليمن على وجه الخصوص أسراً، وبيوتاً تعودُ إلى البيت الأموي :

وكلٌّ يدّعي وصلاً بليلى وليلى لا تقرُّ لهم بذاكا[٤٧]

لذلك لن أتوقف عند هذه القضيّة، بل سيكون البحثُ منصباً على الرّوايات، والنصوص التاريخية الموثوقة التي تنفي نفياً قاطعاً أيّ شكل من أشكال الحياة السياسية القائمة على إمارة ذات سلطة حاكمة بمثلِ ما تحيكه تلك المختلقات الزائفة، ومن اغترّ بها، وركب ساقتها من المعاصرين؛ وليس القصدُ فقط نفي ما ورد من ادعاءات في تلك المدونات، والمؤلفات المُختلقة بل محاولة وضع أُطر تاريخية واضحة، وضمن سياق تاريخي زمني، ورؤية قائمة على هذه المادّة– قدر المستطاع– للأوضاع العامّة لمنطقة عسير عبر القرون التاريخية المتعاقبة، في حدود البحث الزمانية، ومادته العلمية المتاحة .

وإذا استبطنّا بعض مصادر القرنين الثالث، والرابع الهجريين[٤٨] سنجدُ فيها إشارات مهمّة إلى الأوضاع، والأحوال السياسية لهذا الإقليم على امتداد حدوده المكانية المعروفة في وقتنا هذا. ومن ذلك على سبيل المثال أنّ الإمام الهادي يحي بن الحسين بن القاسم الرسي(ت٢٩٨هـ/٩١٠م) ومن خلال أحداث سيرته منذُ أن خرج من بلده قرب المدينة المنورة سنة ٢٨٤هـ/٨٩٧م ، وأسّس أول دولة للزيدية في صعدة المتاخمة لسراة عسير، وعلى الرّغم من أنّه كان يقطعُ هذا الإقليم في تنقله بين اليمن وبلده، ومروره في عددٍ من المدن والمواضع في سراة عسير إلاّ أنّه لم يرد في سيرته شيءٌ عن وجود سلطة حاكمة، لا لأحدٍ من ذريّة يزيد بن معاوية، ولا غيره. ولو كانت هناك إمارة، أو حتى وجود لأحدٍ من ذريّة يزيد بن معاوية الأموي– كما يدّعون – لما تردّد يحي بن الحسين، وأتباعه في الوصول إليهم، واستئصال شأفتهم نتيجة الإحن والثارات بين البيت الأموي، والعلويين[٤٩]. وإذا انتقلنا إلى الهمداني(ت٣٤٤هـ /٩٥٥م تقريبا) وهو المؤرخ

الذي جاس خلال ديار عسير من جنوبها إلى شمالها، ومن شرقها إلى غربها، ووصفها بما لم يصفهُ بها أحدٌ غيره، والتقى خلال ذلك فيها، وفي مكة المكرمة بالكثير من أهلها، واستخبر منهم عنها وعن سكانها، وأحوالها، ومع هذا لم يذكر ولو معلومةً واحدة عن أميرٍ من أمرائها، أو سلطة حاكمة لآل يزيد أو غيرهم؛ على الرّغم من أنّه زار الجهوة في بلاد الحَجريين، ووصفها، وذكر صاحبها جابر بن الضحاك[٥٠]؛ وهذا من أوضح الأدلّة على خطل وزيف ما روّجته تلك المؤلفات، ومن سار في ركبها من الباحثين المحدثين .وإذا انتقلنا إلى القرن الرابع الهجري سنجدُ عدداً من الإشارات التي وردت في أحد المصادر المعاصرة، وهي سيرة الامام القاسم بن علي العياني(ت٣٩٣هـ) الذي كان قبل دعوته بالإمامة في صعدة، وسائر اليمن محسوباً من سكان بلاد خثعم، ومن أهلها، وهي بلادٌ تدخل ضمن نطاق الحدود المكانية لمسمى عسير، وبعد دعوته في اليمن كان دائم التردد على كثيرٍ من الأجزاء الجنوبية والشرقية من الإقليم، ولم يرد في سيرته شيءٌ عن أيةِ سلطة سياسية فيه، بل يُفهم من بعض النصوص وجود نوع من القبول لدعوته لدى بعض قبائل المنطقة. ومن الأدلّة على هذا ما يُفهم من ثنايا رسالته إلى المغيرة بن بدر الذي عقد له الإمامة على جهات تبالة، وترج ، وبيشة وسكّانها من بني عامر ، وشهران ..وفيها يقول :" وجعلتُ لمن اتبع أمري من كافّة مقدّمي بني عامر خراج بلدانهم يرفدون منه ضُعفاءهم، ويستعينون بذلك على نوائبهم...وأجريتُ من استقام في الطاعة من رجال شهران بجميع الأعراب مجرى بني عامر ..الخ"[٥١] ، وفي نصّ آخر أشار صاحب السيرة إلى أنّ الإمام العيّاني وصل الفيض ، وهو أحد أودية السراة، ومازال معروفاً إلى الآن[٥٢]، ولقي واليه عليه المسمى موسى بن جبير فقام هو وعشيرته بضيافة الامام ومن معه، وأنّ القبائل النازلة حول الفيض من سنحان، وجنب[٥٣]، ووادعة قد سألوه أن يُعيد عليهم واليهم السابق المسمى رزين بن أحمد بن يعقوب، وكتب له بذلك كتابا[٥٤] . وهذا كان في سنة ٣٩١هـ./ ١٠٠١م. ومنهُ يتبيّن أنّ هذه البلاد التي

تُعدُّ الآن ضمن منطقة عسير لم تكن حينذاك تحت سلطة سياسية لا من آل يزيد كما تدّعي الروايات الزائفة، ومن بنى عليها من الكُتّاب المُحدثين، ولا من غيرهم من المنتسبين إلى عسير، بل يُفهمُ من النصّ أنّ أهلها كانوا يدينون بالطاعة للإمام العيّاني؛ ومن ثمّ فلو كان في جرش[٥٥]، أو إحدى قرى عسير وجودٌ لذريّة أمويّ من آل يزيد بن معاوية لما تركهم العياني، والعلويون .

وبالنظرِ في مصادر القرن الذي يليه نجدُ نصوصاً تُرسّخُ خلوّ" عسير" من أيّ مظهر من مظاهر السلطة السياسية، ومنها ما ورد من نصوص واضحة في مصدر معاصر، وله صلة بأجزاء مهمّة من الإطار المكاني لعسير، وهو كتاب سيرة الأميرين الجليلين الشريفين الفاضلين[٥٦]، ومن يجوسُ في ثنايا هذا المصدر سيجدُ فيها أكثر من إشارة إلى أن هذا القسم من عسير، ويشمل بيشة، وترج، وتبالة إلى بلاد شهران كانت في القرون الوسيطة تحت نفوذ أشراف مكة المكرمة، ومن ذلك قول مؤلف السيرة على لسان ذي الشرفين:" وخشينا أن يلحقنا من الأمير شكر بن أبي الفتوح[٥٧] عتبٌ إذا لم نتصلْ به، لأنّ يدهُ كانت تصل إلى البلاد التي نحن بها"[٥٨].

ومما نستدلّ به من هذا المصدر أيضاً على عدم وجود سلطة، وأنّ الأمن كان منفرطاً خلال هذه الفترة نتيجة عدم وجود حاكم بعموم الإقليم أنّ الشريف القاسم بن محمد بن الامام القاسم العياني أثناء خروجه، ومعه أخوه محمد بن جعفر من اليمن إلى وادي " ترج" بالقرب من بيشة هارباً من سطوة الصليحيين، كان يتنقلُ في أكثر من موضع من بلاد عسير، كلّما وصل موضعاً نزل في حمى أحد كبار ساكنيه من القبائل، ولذلك تنقل ما بين" جرش" عند العواسج، إلى "راحة بني شريف" في قحطان التي رغب في المكوث فيها فترةً من الزمن لكنّ وجود أتباع الصليحيين بها[٥٩] عجّل بخروجه منها خشيةّ على نفسه، ماراً بشيخ "جنب"، وعبيدة قحطان، ثم نزل بلاد عنز بن وائل(عسير)، ويذكر صاحب سيرته أنّه لولا أنّ معه خلال تنقلاته من يخفره من كلّ قبيلة يمرّ بها

حتى يسلمه للقبيلة الأخرى، لسطوا به، وقطعوا عليه الطريق، وسلبوه[٦٠]؛ لأنّ لكلّ قبيلة السيادة في حدودها، فلا يستطيع أحدٌ من قبيلةٍ أخرى أن يجتاز في أرض القبيلة الأخرى إلاّ بوجود دليل(خوي)، وأن يكون هناك إذنٌ مسبق، وعهدٌ بينهم حتى يسمحوا له بالإجتياز، كما أنّه يُحظر على قبيلةٍ أن تنزل في حدود أخرى بغير إذنها[٦١]. ويذكر صاحب سيرته أنّه وصل إليه أحد شيوخ عنز بن وائل؛ يعملُ دليلاً للحاج أبلغه أنّه مُفاتنٌ للعواسج في جرش، ثم أرسل معهم دليلاً من رفيدة من عنز بن وائل كي يجوز بهم إلى مقصدهم، وقد علم الشريف القاسم أنّه قد وصلت رُسل الصليحي من تهامة إلى عنز بالقبض عليه، وأنّ هذا الشيخ قد أضمرَ وقومه الغدر به، والقبض عليه، لكنّ الله كتب له ولأخيه وصحبهما النجاة حتى وصلا بلاد شهران، ثم إلى بلدهما "ترج"[٦٢]. وإذا عُدنا إلى نصٍّ مصدريٍّ معاصرٍ أيضاً ورد عند ناصر خسرو في رحلته التي قام بها بين سنتي (٤٣٧-٤٤٤هـ) فيذكر أنّه لمّا اجتاز الطائف إلى نواحي السراة[٦٣] أبلغوه بأنّ هذه الناحية ليس عليها حاكمٌ ولا سلطان، وأنّ لكلّ جهةٍ منها رئيساً، أو سيداً مستقلاً.. وذكروا له أن الحروب فيما بينهم قائمة دائمة[٦٤].والمتأمل في هذه النّصوص من هذه المصادر المعاصرة سيقف على خطل، وكذب من ذهب إلى أنّه في هذا التاريخ كان الأمراء محمد بن عبد الله بن سعيد بن هشام اليزيدي الأموي، وعلي بن سعيد، ومحمد بن علي، وموسى بن محمد بن عبد الله اليزيديون الأمويون يحكمون في عسير بين سنتي(٤١٩هـ -٥١٥هـ/ ١٠٢٨م-١١٢١م)[٦٥].

وليس ذلك فحسب بل يُطالعنا نصٌّ يعود إلى أواخر القرن الخامس الهجري- تقريباً - حيث يذكر عمارة الحكمي أنّ عمه علي بن زيدان حجّ على طريق السراة فاجتاز أثناء ذهابه بقرية "جرش" فأضافه أهلها، وأكرموه ومن معه؛ وعند عودته من الحج وافق وصوله غارة شنّها عليهم عربٌ آخرون، فاجتاحوهم، واستباحوهم، فقتلوا الرجال، وسبوا النساء، واستاقوا الأموال..فأدركهم في أثناء

انسحابهم، وأخذ على الأعراب الطريق، وقاتلهم ومن معه فهزمهم واستنقذ النساء والأموال.. وأمام خراب المدينة، وذهاب الكثير من رجالها، لم يجدِ النّساء ومن سلم من رجالها الذين خافوا على أنفسهم من أن يعود هؤلاء الأعراب للبطش بهم، إلاّ أن يتعلّقوا بركابه، وأبوا إلاّ أن يخرجوا معه إلى بلده في المخلاف السليماني..[٦٦]. والمتأمّل في هذا النّص يجد أنّ حروب النهب، والسلب القبلية كانت قائمة بين قبائل الإقليم، والفوضى تضربُ أطنابها فيه، ومن ثمّ دلّ على أنّ هذا هو ديدنُ أهل هذا الإقليم عبر العصور فيما قبل القرن الثالث عشر الهجري[٦٧]، وعلى عدم وجود سلطة حاكمة في تلك الفترة[٦٨] .

وتردُ الروايات من المصادر اليمنية الموثوقة تباعاً للدلالة على حقيقة عدم وجود أيّ إمارة أو سلطة سياسية في إقليم عسير، والسراة خلال العصور الإسلامية الوسيطة لا من اليزيديين الأمويين، ولا من غيرهم . ففي سيرة الإمام أحمد بن سليمان (ت٥٦٦هـ/ ١١٧٠م) وفي حوادث سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م يذكر مؤلف سيرته أنّه تقدّم حتى بلغ إلى وادعة فأتوه من " الغيل"[٦٩] ومن "العرين"[٧٠] فدانوا له بشيءٍ من الطاعة إمّا رغبةً أو رهبة[٧١]، وقد وصل إليهم أيضاً في سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م، واجتمع بهم في راحة بني شريف، وحثهم على الخروج لقتال يام في نجران، كما استعان بقبائل من " جنب"، وكان في أتباعه أيضاً شيخُ قبيلة نهد في تثليث منيف بن جابر الّذي التزم للإمام بجمع جيشٍ من قبيلته، وخثعم، وعبيدة يقومُ معه في هذا المخرج[٧٢]؛ وسواءٌ كانت هذه البيعة، والتبعيّة حقيقية، أو اسمية، أو تتخللها مبالغة مؤرخي الزيدية، أو رغبةً، أو رهبة؛ فإنّ دلالتها واضحة جداً على ما نحن بصدده في هذا البحث[٧٣]،كما يردُ في المصدر نفسه نصٌّ آخر واضحٌ كلّ الوضوح، ودلالته لا يشوبها غموضٌ على أنّ فترة العصور الوسيطة لم يكن فيها حاكمٌ، أو أيّ شكلٍ من أشكال الحكم السياسي لهذا الإقليم سراته، وتهامته حيث يقولُ الثقفي: " وكان ممن وصلَ في تلك المدّة إليه– الامام أحمد بن سليمان – مشايخ من جنب بن سعد من أهل راحة[٧٤]، وما يليها ،

وذكروا له أمر رجلٍ من عنز بن وائل يُقالُ له عُرفطة بن الطّحل أنّه قطع طريق الحاج إلى بيت الله الحرام، وسألوه المخرج إليه ففعل ذلك".. ثم وصله مشايخ من خثعم يشتكون أيضاً الشكوى نفسها(٧٥). وللقارئِ أن يتأمّل في هذا النص، ويتساءلْ: هل لو كانت هناك حكومة، أو إمارة هل سيقومُ عُرفطة العنزي بقطع طريق الحاجّ؟ ثم يتساءل لماذا قصد شيوخ جنب من أهل راحة بني شريف، وشيوخ خثعم، إلى الإمام يستنجدون به؟ هل لو كانت هناك قوّة سياسية من آل يزيد الأمويين– كما يزعمون–، أو من غيرهم هل سيتجاوزونهم إلى إمام الزيديّة؟! ثم أليس من المفترض بهذه الحكومة السياسية أن تخرج لحفظ الأمن في ربوع بلادها، والتصدّي لقاطعِ الطريق هذا؟! كما يبدرُ إلى الذهن تساؤلٌ آخر مبنيٌّ على ما سبق من نصوص هذا المصدر فحواه : لماذا يسمح الأمير اليزيدي الأموي لرعاياه بمبايعة الإمام الزيدي، إذا ثبت ما تُجعجعُ به هذه المؤلفات، والمتأثرون بها من الكَتَبَة المحدَثِين من أنّ هناك إمارة متوارثة لليزيديين الأمويين؟!.وفي السياق نفسه، وفي هذه السيرة نجد نصّوصاً أخرى ضمن حوادث سنتي ٥٥٥هـ،٥٥٦هـ تذكر أنّ الامام كان يتردّد على راحة بني شريف، والإقامة بها أياماً قد تصل في بعضها إلى قرابة الشهر(٧٦). ومن المؤكد أنّ إقامته في بلاد قحطان وقاعدتها "الرّاحة" دليلٌ على أنّها كانت تدينُ له بنوعٍ من الولاء، والتبعيّة، أو أنّ أهلها كانوا يرحبون به، ولا يجدون مانعاً من أن يأويَ إليهم . وهذا لا يتأتّى إلاّ في حالة عدم وجود سلطة سياسية محلّيّة فيها عدا شيوخ القبائل. وهناك نصٌّ صريحٌ كذلك ورد في كتاب الناصحة المشيرة للإمام عبد الله بن حمزة (ت٦١٤هـ/ ١٢١٧م) نستدلّ منه على أنّ بلاد السراة، وما جاورها لم يكن فيها حاكمٌ، أو سلطة تنشرُ الأمن، وتضبط تصرفات الخارجين؛ حيث يقول المنصور عبدالله بن حمزة مخاطباً أحد منتقدي سياسته:" ففكرْ في أمر...راحة، وبلد سنحان، وما والاهما من البلدان، وما كان ينزلُ بهم من الخوف والجوع، ويُسفكُ بينهم من الدّماء، ويركبُ من الدّهماء، مما كان يقع من رعي الزراريع،

وقلع الأشجار المثمرة...وأنّ القويَّ كان يأكلُ الضعيف، والباغي يقطعُ السبيل، ويسفكُ دماء العابرين.. الخ"[٧٧] . وفي عهد الإمام المطهر بن يحي والذي دعا في سنة ٦٧٠هـ كان له بعضُ نفوذ ، ووالٍ على راحة بني شريف، ودار بينه وبين الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي صراعٌ للهيمنة عليها وعلى بلاد وادعة[٧٨].

وإذا تجاوزنا المصادر اليمنية المعاصرة مؤقتاً وعرّجنا على مصدرٍ آخر معاصر، وقريب من الأحداث كابن المجاور(ت٦٩٠هـ) الذي مرّ في بعض قرى، ومواضع الإقليم أثناء خروجه إلى اليمن من طريق السراة، ومنها "ذهبان" شهران، وراحة بني شريف في قحطان، وغيرها فسنجده يُلقي عند كلامه عن هذه القرى والطرق الواقعة بين الطائف وصعدة أضواءاً جليّةً يصفُ فيه الحالة الحقيقية التي تعيشها هذه البلاد وصف مشاهدةٍ وعيان، فيقول: "إنها قرى متقاربة، وكل قرية مقيمة بأهلها منفصلين ومستقلّين عن جيرانهم في القرى الأخرى، وأن كلّ قرية يحكم عليها شيخٌ من مشايخها من ذوي المكانة فيهم ، والعقل، وحسن التدبير..ويُصرّح بأنّ جميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان، ولا يؤدون خراجاً، وكل واحد مع هوى نفسه، ولهذا لا يزال القتالُ دأبهم وينهبُ بعضهم مال بعض.. وهم طول الدهر على هذه الحال.."[٧٩] .

ويُطالعنا نصٌّ جليّ آخر ورد في مصدرٍ مهمّ يُفصحُ بوضوحٍ ظاهرٍ عن الحالة السياسية لقبائل هذه البلاد فيما قبل العاشر الهجري، ويعودُ هذا المصدر إلى منتصف القرن الثامن الهجري . وهو نصٌ في غاية الأهمية عند المؤرخ العُمري (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م) في كتابه مسالك الابصار في ممالك الأمصار- وبمقياس التاريخ الزمني لسلسلة أمراء عسير في تلك المدونات المزيّفة يعدُّ معاصراً لغانم بن صقر بن حسان(٦٥٦هـ-٧٢١هـ)، وعبدالوهاب بن غانم بن صقر(٧٢١هـ-٧٨٦هـ)[٨٠] أميري عسير والسراة اليزيديين الأمويين على حدّ زعم المؤلفات المُصطنعة - فالمتأمّل لهذا النّصّ، والمستقرئ له جيداً سيقف لاشكّ

على تفنيدِ أي ادّعاء يزعمُ أنّ بلاد عسير والسراة كان بها سلاطين، وأمراء؛ بل ليس فيها أي شكلٍ من أشكال الحكم السياسي المعروف، ومن ثمّ سيرى القارئ الحصيف لهذا النّص المهم أنّه يؤكدُ ما يهدفُ إليه هذا البحث من نفي، وتفنيد أيّ قولٍ يذهبُ إلى وجود أيّ سُلطةٍ سياسيةٍ حاكمة منذُ بواكير العصور الاسلامية حتى القرن الثالث عشر الهجري، كما أنّه يُصور واقع القبائل فيها – قبل دخولها تحت سلطة الدولة السعودية سنة١٢١٥هـ – تصويراً دقيقا. وإليك النصّ منقولاً من قول العُمري نفسه : « وبلاد الشرفاء "الزيدية" متصلة ببلاد السراة ،إلى الطائف إلى مكة المعظمة .. وهي جبالٌ شامخة عليّة ذات عُيون دافقة ، ومياه جارية على قرى متصلة ، الواحدة الى جانب الأخرى، وليست لواحدةٍ تعلّقٌ بالأخرى ، بل لكلّ واحدةٍ أهلٌ يرجع أمرهم إلى كبيرهم، لا يضمهم مُلكُ مَلِك، ولا يجمعهم حُكم سلطان، ولا تخلو قريةٌ من أشجارٍ وغروس ذوات فواكه أكثرها العنب، واللوز، ولها زروعٌ أكثرها الشعير، ولأهلها ماشية أعوزتها الزرائب، وضاقت بها الحظائر...حتى قال: وأهلها أهلُ سلامةٍ وخير، وتمسك بالشريعة، ووقوفٍ معها، يعضُّون على دينهم بالنواجذ، ويُقرون كلّ منْ يمرُّ بهم، ويضيفونه مُدة مقامه حتى يفارقهم...إلى أن يقول – وهو وجه الشاهد في هذا النّص المهم – : "وأهل هذه البلاد لا يُفارق أحدهم منهم قريته مسافراً الى الأخرى إلاّ برفيق يسترفقهُ منها ليخفره ، وإلاّ فلا يأمنُ أولئك لعداوة بينهم ، وتفرّق ذات بين.. »[٨١].

وحتى لا يطول الأمر بنا في تقصّي النّصوص التي حفلتْ بها المصادر الموثوقة، حيثُ أنّ في القليل مما سبق من نصوص عبر العصور الإسلامية ما يكفي عن مواصلة عرض ما ورد من نصوص ذات دلالات واضحة على ما نرومه في هذا البحث في مصادر الفترة التي تلت ابن فضل الله العمري، وعليه فسنقتصر على إشارتين لبعض ما ورد من نصوص في حوادث القرن التاسع الهجري من خلال المصادر المكيّة تذكر أن قبائل القسم الواقع في الجنوب

الغربي من بلاد عسير – بيشة وما حولها– كانت تتعرّض في بعض السنوات من هذا القرن لغزوات من قبل أشراف مكة بقصد الاستيلاء على أموالهم، ونعمهم؛ تنتهي أحياناً بهزيمة مُذلّة لجيش الأشراف على يد هذه القبائل، وأُخرى بتحقيق بعض الانتصارات، والغنيمة من إبلهم، وأموالهم[٨٢] الأمر الذي يدلّ بوضوح لمن تأمّل، واستشفّ هذه النصوص أنّها لم تكن موجّهة لأميرٍ، ولا إلى حاكم حدّ زعم تلك المزيّفات[٨٣] .

الأوضاع السياسية في عسير خلال القرون المتأخرة:

وسننتقلُ هنا إلى نصوصٍ أخرى أشدّ وضوحاً نجدها في مصادر القرن العاشر الهجري التاريخية ففيها مادة علميّة واضحة وضوح الشمسِ في رابعة النهار تدلّ على خلوّ هذا الإقليم على امتداده الجغرافي من سلطةٍ سياسية حاكمة لها شهرتها كتلك التي تُصورها المدونات الزائفة، كما لا نجد أيّ إشارةٍ لا من قريبٍ ولا من بعيد في هذه المصادر الموثوقة إلى شخصيّةٍ من تلك الشخصيات الحاكمة التي امتلأتْ بها تلك المؤلفات، ووصفتهم، وروّجتْ لهم كأمراء ، وحكّاماً من اليزيديين المنتمين – بزعمهم – إلى الخليفة الأموي يزيد بن معاوية. فعلى سبيل المثال، وفي حوادث سنة ٩٠٢هـ / ١٤٩٦م يذكر الزحيف أنّ الإمام الحسن بن عز الدين بن الحسن المؤيدي(ت٩٢٩هـ/ ١٥٢٣م)[٨٤] لمّا حلّتْ به الهزيمة في صراعه على الإمامة مع الإمام محمد بن علي الوشلي(ت٩١٠هـ/ ١٥٠٤م)[٨٥]، خرج إلى البلاد الشامية، كـ"الفيضة" و"العرين" و"الحرجة "[٨٦]، والتي تقع كلها في بلاد السراة، وتلك النواحي للإستعانة بأهلها على خصمه الوشلي. وذكر الزحيف أنّه كان بمعيّته في ذلك المسير، وأنّه لمّا وصلها، وطاف بها، واستقرّ في الحرجة مدّة أربعين نهاراً ، وأنّ قسماً كبيراً من أهلها دان له بالطاعة؛ عدا جماعة من أشراف راحة بني شريف عارضوا، واعتذروا بأنّ لهم بيعة في عنقهم للإمام محمد بن علي السراجي الملقب بالوشلي..وذكر الزحيف أنّه قام في سوق الحرجة وكان يوم الجمعة[٨٧] فأنشد قصيدة مدح فيها قبائل

قحطان من "شريف" و "بني بشر" و "وآل زيد" وشيوخهم، وحمّسهم داعياً لهم إلى بذل الطاعة للإمام ..الخ[٨٨] . ويمكن توجيه هذا النّص وتعليله بأمرين أو أحدهما :

- إمّا أن تكون هذه البيعة مشوبةً بنوعٍ من التبجيل والعاطفة تجاه آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم الّذي ينتمي اليه أولئك الأئمة، ولأنّ هذه القبائل بما جُبلت عليه من صفات الكرم، والشهامة، والنخوة، وإغاثة الملهوف أضحت ملاذاً للفارّين من أئمة الزيدية وغيرهم.
- وإمّا أن يكون الدافع إلى هذا حاجة سكان هذه البلاد– المتاخمين لسلطان الأئمة– إلى شخصيّة لها اعتبارها، كسلطة حاكمة تستطيع فرض الأمن، وتقوم بتنظيم أحوالهم، ويرتكنون إليها في شؤونهم الادارية ومناحي حياتهم، وتحولُ دون الحروب الداخلية بينهم، وتجمعُ شتاتهم، وتؤلفَ بينهم. ولذلك لمّا لم تكن هناك سلطة قبلوا بالانضواء– ولو إسمياً– إلى سلطة أولئك الدعاة من الأئمة، والمتأمل في النّص سيجد أنّه قبول لم يصل الى الخضوع الكلّي للسيطرة السياسية الكاملة لأولئك الأئمة والدعاة الزيدية، والإذعان الكامل لسلطتهم، ولا تعدو أن تكون نوعاً من الطّاعة المؤقتة إضطراراً، وذلك لأنّ القبائل لم تكن تدين، وتخضع في الحقيقة لغير شيوخها. وفي كلا الحالتين فإنّ الدافع هو عدم وجود سلطة في هذا الإقليم كلّه. بل نلحظ أنّ بعض هذه القبائل، وخاصّة تلك المتاخمة لسلطة أشراف مكة المكرمة كانت تنصرفُ سريعاً إلى الإذعان لسلطانهم عليها ومتابعتهم، ومشايعتهم ومن ثمّ الائتمار بما يُصدرونه من أوامر، وتنفيذها حتى على الحجاج من أهل اليمن السالكين لديار تلك القبائل في طريقهم إلى مكة المكرمة؛ ولا يستطيع ولاة اليمن التحكّم في تبعيّة هذه القبائل، ولا توفير الحماية لحجاجهم؛ يدلّ على هذا أنّه في سنة ٩١٥هـ أضطرّ حجاج اليمن الذين سلكوا طريق السراة إلى العودة دون إكمال حجهم. قال ابن الديبع : «وفي شهر ذي الحجة رجع حجاج اليمن من

(الواديين)[٨٩]بسبب أنّ الشريف بركات(ت٩٣١هـ/ ١٥٢٥م)[٩٠] منعهم من الوصول من ناحية البر... الخ»[٩١]. ولا تفسير لهذا النصّ إلاّ أنّ سلطة الأشراف كانت تمتد وقت ذاك إلى الواديين التي تبعد عن أبها حاضرة عسير ما يقرب من ٤٥كم شرقاً؛ وحتى مع هذه السلطة فإنّ شيوخ القبائل السرويّة سرعان مايتذمرون من أية تبعيّة لسلطة خارج سلطة القبيلة، وترفض الإنصياع لها، وقد يصل الأمر بها إلى المقاومة المسلحة، ويمكن أن نستدلّ على هذا بنصٍّ ورد عند عمر بن فهد يذكر أنّ شريف مكة بركات بن حسن[٩٢] أرسل جيشاً كبيراً على رأسه ابن عمّه الشريف رميثة بن محمد بن عجلان في سنة ٨٣٧هـ/ ١٤٣٣م للإغارة على شهران وغيرها في بلادها، ويبدو أنّه أراد تأديبهم، أو أراد نهبهم، وخاصّة أنّ الأشراف كانوا يمرّون بضائقة مالية نتيجة وباء، وكوارث حلّتْ بمكة في هذه السنة؛ لكنّ حملة شريف مكة فوجئت بمقاومة شديدة من قبائل شهران ومن معها من العربان، وانجلت المعركة عن مقتل السيد رميثة، والقائد جمّاز بن مقبل العُمري، ومجموعة من كبار قوّاد الجيش، وهزيمة جيش شريف مكة هزيمة منكرة[٩٣].

ومن الأدلّة الظاهرة أيضاً على أنّ أهل هذه البلاد لم تكن عليهم سلطة ينضوون تحت لوائها، ويأتمرون بأمرها غير سلطة شيوخهم؛ أنّ هؤلاء الشيوخ وقبائلهم كانوا أمام الحاجة للمال لا يمتنعون من تقديم خدماتهم العسكرية لمن يحتاجها، ويُريد الاستعانة بهم في حروبه سواءٌ من أئمة اليمن، أو غيرهم من الحكام المتغلبين في البلاد المجاورة لهم، ومن ذلك ما ورد أنّ العلاّمة عماد الدين يحي بن صلاح بن محمد(ت٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م)[٩٤] كان قد دعا لنفسه بالإمارة في صعدة بعد طرد الإمام الحسن المؤيدي منها، فلمّا بلغه أنّ المنصور بالله الوشلي عازمٌ على القدوم إليه من صنعاء لاستخلاص صعدة منه، ولم يكن تحت يديه جيشٌ يعتمدُ عليه في مواجهة الوشلي، فخرج إلى ذهبان[٩٥]، وبيشة في شهران فجمع خيلاً كثيراً، وخرجوا معه؛ لكنّهم ما إنْ خالطهم الوشلي بجيشه

حتى انفضّوا عن يحي بن صلاح، وفرّوا عنه، وخذلوه كما يقول يحي بن الحسين، وابن أبي الرّجال[٩٦]. ومن ثمّ فلو كانت هناك دولة، وسلطانٌ عليهم في هذه الفترة كما تزعم المؤلفات العسيرية المزيفة، ومن اغترّ بها[٩٧] لما عملوا كجنود ترتزقُ من الأموال التي يأخذونها ممن يطلب عونهم الحربي، أو خرجوا بغير إذن أميرهم؛ ولو افترضنا أنّ أميرهم معهم فلمَ سكتت عنه هذه المصادر المشهورة التي ساقت الخبر؟! وفي السياق ذاته فعندما قام الباشا أزدمر[٩٨] بمطاردة أحمد بن عزالدين المؤيدي[٩٩] عقب بيعته بالإمامة سنة ٩٥٨هـ/ ١٥٥١م هرب منه إلى الحرجة، فوجّه الباشا بحملة إلى جهات ظهران الجنوب فهرب الإمام أحمد منهم إلى الواديين بعد أن قام أهل الحرجة بالهرب منها أيضاً، وإخلائها خوفاً من بطش الأتراك[١٠٠]. ومن يتأمل هذا النص سيقف على أنّه لو كانت هناك سلطة حاكمة[١٠١] لتصدّت لحملة الأتراك، ولما احتاج أهل الحرجة إلى الهرب؛ ومن جانبٍ آخر لم يكن الإمام أحمد المؤيدي ليستطيع التنقل والهرب من الأتراك عبر البلاد حتى الواديين دون أن يتواصل مع هذه السلطة، أو يحصل على إذنٍ منها، أو حتى يحتمي بها، ويستعينُ بها على مطارديه. وفي السياق نفسه وفي حوادث سنة ٩٤٠هـ/ ١٥٣٣م نقف في عدد من المصادر المعاصرة على أنّ الإمام مجد الدين بن الحسن بن عز الدين المؤيدي[١٠٢] خرج بأهله إلى الحرجة من بلاد قحطان بعد هزيمته على يد الإمام شرف الدين يحيى[١٠٣]، ومن المؤكد أنّ أحد دوافعه لاختيارها ما ذكرناه سابقاً عن أهلها، ومَن حولها من قحطان؛ وقد أقام بها إلى وفاته سنة ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م؛ وكان أهلها يسلمون الواجبات المالية إليه طواعية؛ و لعلّ ذلك كان كنوعٍ من المساعدة، والتقدير كونه من آل بيت النّبي صلى الله عليه وآله وسلم– كما سبقت الإشارة – يدلُّ لذلك قول النعمان الضمدي : « ولمّا تحقّق الإمام مجد الدين عدم الطاقة نهض بأولاده وخاصته الى بلاد الحرجة، واشتغل هناك بالطاعات، وسلّم أهلها إليه الواجبات، وبقي هناك حتى الممات»[١٠٤]. وعليه فلو كانت هناك سلطة

سياسية حاكمة لما بادروا- دون الرّجوع إليها- بتسليم زكواتهم، وصدقاتهم إلى مجد الدين الّذي كانوا يرون فيه شخصية كبيرة من بيت إمامةٍ وعلمٍ وحُكم، ونسبٍ ينتمي إلى الدوحة النبوية الشريفة حيث كانت له سلطة سابقة في بلاد اليمن(١٠٥) .

وفي سنة ٩٤٥هـ/ ١٥٣٨م، غزا عزّ الدين بن الإمام شرف الدين(١٠٦) وادعة في ظهران الجنوب، ونكّل بهم وهمّ بالزحف إلى البلاد الشمالية. قال صاحب السلوك الذهبية: « ولما أوقع – عز الدين – بوادعة هذا الإيقاع، راع ذلك ما وراءها من بلاد الشام، فوقعوا في الأمر العظيم والخطب الجسيم فاجتمعوا- شيوخ القبائل- في " الحرجة" إلى السيد جمال الدين علي بن زيدّ بن محمد بن أبي القاسم المؤيدي- وكان قد خرج إليها والياً بأمر الإمام شرف الدين فجعلوا يترددون إليه؛ فكتب إليهم عزالدين كتاباً يتضمن تأمينهم..»(١٠٧). ومن هذا النّصّ يبدو أنّ بعضاً من شيوخ القبائل خشي من عدم التزام عز الدين بن شرف الدين بما عقده لهم من الأمان، فخرجوا إلى الإمام شرف الدين يطلبون منه الأمان على بلادهم، ويظهر أنّهم قد أعطوه رهائن، إذ يقول في السلوك الذهبية : « ولم يتعقّب لإصلاح هذه الجهات، ووصول أكثر أهلها، وبذلهم الرهائن وتأكيد العهود...» (١٠٨) .

وما زالت حوادث القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في المصادر المعاصرة تحوي الكثير من النصوص الدّالة على خلوّ عسير من أي شكلٍ من أشكال السلطة، والحكم؛ وما زالت قبائل عسير، وبخاصة السراة تستقبل الفارّين من أئمة اليمن نتيجة خسائرهم في صراعاتهم مع منافسيهم، ويجدون في هذه البلاد الملاذ الآمن عند القبائل وبخاصة من بيت المؤيدي إذ لهم سلفٌ في هذه المواضع من عسير؛ ففي سنة ٩٥٨هـ/١٥٥١م هرب الإمام أحمد بن الحسين بن عز الدين إلى الحرجة، وأقام بها مدّة يقيم بها الجمعة، وسلّم إليه أهل الشام واجباتهم – كما يقول الزحيف(١٠٩)- بعد هزيمته أمام الأمير ناصر بن

أحمد الحمزي ٠ قال النّعمان في العقيق : « فانكسر الإمام ولم يستطع الصمود في وجه الأمير ناصر ففرّ إلى الوادِيين بأرض الحجاز..»[١١٠]، وفي سنة ٩٧٢هـ/ ١٥٦٤م، أصبح قسمٌ يمتدّ من السراة إلى بلاد الحرجة تحت سلطة الولاة العثمانيين في اليمن، بعد أن قُسّمت البلاد الخاضعة لهم إلى ولايتين عثمانيتين، كل ولاية تحت سلطة أحد الباشوات. فكان من النقيل – وهي قلعة في رأس جبل صيد ناحية المخادر، بين إب ويريم[١١١]–إلى الحرجة في بلاد قحطان ولاية منفصلة خاضعة لأحد الباشوات[١١٢] . وفي سنة ٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م، أخرج القائد التركي بهرام محطة من جيشه من صعدة إلى الحرجة لمطاردة الامام الحسن فلما وصلت إليها هرب أهلها منها، وغادر الامام الحسن إلى الوادِيين خشيةً من القبض عليه[١١٣] .

وفي أواخر القرن العاشر الهجري يردُ معنا مصدرٌ موثوقٌ له أهميته الكُبرى في الاستدلال بما ورد فيه من نصوص على ما نسعى لتوضيحه في هذا البحث، وما نرمي إليه من ردّ كلّ ما ورد من اختلاقات، ومزاعم عن التاريخ السياسي لعسير قبل وصول نفوذ الدولة السعودية الأولى مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وميزةُ هذا المصدر مع معاصرته أنّ مؤلفه، والشخصيّة المحوريّة التي يدور عليها الكتاب قد خرج بنفسه وأسرته إلى عسير، وطاف فيها من غربها حتى شرقها، فمرّ في أبها واستقبلته أسرة آل مدحان[١١٤]، وكانوا حينها شيوخ بني مغيد[١١٥]، ثم حلّ في مدينة ذهبان قاعدة بلاد شهران ضيفاً على شيخ شيوخها مريع بن ناصر بن الحفارص، ومكث عنده سنوات، ثم خرج الى الوادِيين فلبث فيها حتى قيام دعوة الإمام القاسم بن محمد سنة ١٠٠٦هـ/١٥٩٧م، أي ما يقرب من اثني عشر عاما[١١٦]. وتبرز أهميته في أنّ المؤلف كان صحبة والده عندما رحلا إلى بلاد عسير والسراة في سنة ٩٩٤هـ/١٥٣٧م، وجاسا ومن معهما من أهلهما بلاد عسير والسراة من أدناها بلاد بني مغيد إلى أقصاها بلاد الحرجة ووادعة؛ ومكثوا سنين طويلة في قرية" ذهبان" قاعدة بلاد شهران آنذاك، ثم انتقلوا

منها إلى الواديين وغيرها . ولا تقتصر أهمية هذه النصوص الصريحة، والموثوقة في هذا المخطوط على نفي وجود أيّ سلطة غير سلطة القبائل، وشيوخها؛ بل بما تحمله من إشارات واضحة عن الشيخ المذكور آنفاً، وكونه أحد الشيوخ القبليين المشهورين وقت ذاك؛ وسلطته القبلية التي وفرت الحماية للإمام عبدالله بن علي المؤيدي، وأسرته وآوته، وأكرمته.

ومن الغريب أنّ أحداً ممن أرّخ لعسير سواءٌ تلك المؤلفات المزيّفة، أو من حذا حذوها من الباحثين المعاصرين لم يأتِ على ذكرٍ لهذا الشيخ القبلي، والأغرب أنه حتىّ الذّاكرة الشعبية في عسير قد أغفلته تماماً، أو رواية شفهيّة مما هو متداول عند الرّواة بزعمهم؛ بل وأغفلت هذه المدونات، والمؤلفات أيّ ذكرٍ لوصول عبدالله المؤيدي، وما دار من أحداث في حضور هذا الشيخ القبلي.

ويظهرُ لي أنّ سبب التغافل عن ذكر هذا الشيخ لا يخرج عن أمورٍ منها:

- ترسيخ بطلان ما اشتملت عليه هذه المؤلفات والمدونات من تلفيقٍ لتاريخٍ مزعوم لإقليمٍ لم يُعرف عن أهله أيّ نشاطٍ سياسي، أو حراكٍ فكريّ قبل القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي ؛ بل كان حالُ أهله – كما سبق القول – هو الإنغلاق على أنفسهم، فتجدُ كلّ قبيلة منكفئة على ذاتها، وهمّها الأكبر هو النّظر في معايشها، والإنشغال بخصوصياتها، إلاّ عندما تدفعهم الحاجة للمال إلى الإستجابة لمن يطلب عونهم في الصراعات العسكرية خارج حدود الإقليم– كما سبقت الإشارة – ولم يكن لهم احتفاءٌ بمن يمرُّ في بلادهم، أو ينزل بهم من العلماء، وطلبة العلم، والشخصيّات المشهورة في الأقطار المجاورة؛ فلديهم ما يشغلهم عن التفرّغ للتحصيل، ومن ثمّ التدوين لماجَرَيَات الأمور، وأحداث إقليم عسير حتى ولو شفاهاً
- لا يبعد أن تكون قد نشبت حربٌ بينه وقبيلةٍ أُخرى– كما هي عادة هذه القبائل– ،فخذلته قبائله، ولم تقم بنصره ومؤازرته، والوقوف معه، وتخلّت عنه،

وأسلمته بذلك إلى أعدائه، وانتهت هذه الحرب إلى مقتل الشيخ مريّع بن ناصر بن الحفارص، وابنه وذوي قرابته[١١٧].

- هناك إشارات مهمّة في بعض المصادر تذكر أنّ محمداً بن الإمام عبد الله– المعروف بأبي علامة– قد أغضبه تقاعس والده عن الخروج إلى اليمن للدعوة بالإمامة، وخاصّة عندما بدأ الامام القاسم بن محمد يدعو إلى نفسه؛ فكان أن خرج إلى قحطان فدعاهم إلى بيعته فأطاعوه بعد أن أوهمهم أنّه المهدي المنتظر، ثم أجابه أكثر أهل بلاد الشام، وخرجوا معه في خيل ورجل لحرب القاسم بن محمد، وفي الوقت نفسه أرسل القاسم بن محمد إلى وادعة في ظهران فأطاعوه[١١٨] .
- لا يبعدْ أيضاً أن تكون شهران التي ينتمي إليها هذا الشيخ القبلي الذي رحّب بالإمام الزيدي عبدالله المؤيدي وأسرته قد رفضت وجوده بينهم، وسعتْ إلى انتزاعِ المشيخة من ابن الحفارص لقيامه مع الإمام وتقديم المساعدة له، والخروج معه لحرب الأتراك، وهو ما رفضه الكثير من قبائل هذا الشيخ[١١٩]، وقد يكون للتنافس، والتصارع على السلطة القبليّة، والعداوات والإحن بين رؤوس القبيلة في القرون المتأخرة –على وجه الخصوص– قد أدّى إلى اغتياله[١٢٠]، ومن ثم إلى تهميش هذه الشخصيّة، ووأدِ ذِكرها، وأخبارها، الأمر الذي أدّى إلى تناسيها عمداً، وتغييب أخبارهم كليّاً من تاريخ عسير القَبَلي؛ على الرّغم من أنّ المؤرخ محمد أبو علامة المؤيدي قد جهر بذكرهم، ونوّه بمكانتهم، وزعامتهم لقبيلة شهران، بل ذكر أنّهم كانوا في مركز شيوخ مشايخ شهران في سنة ٩٩٤هـ/١٥٨٥م؛ وربما يعود هذا أيضاً إلى التنافس على الشهرة، والصدارة في المشيخة بين زعامات القبائل التي تولّت مشيخة هذه القبيلة العريضة بعد آل الحفارص[١٢١]، وغيرها .

ومن ثمّ لم يكن أمام الإمام عبدالله بن علي المؤيدي، وأسرته إلاّ الخروج من ذهبان إلى الواديين، ومنها بعد فترةٍ من الزمن إلى صعدة؛ على

الرّغم من أنّ بعض المصادر اليمنيّة ذكرت أنّ السبب هو نشوب خلاف بين الإمام وابنه محمد المشهور بأبي علامة أدّى إلى أن يُفارق الإبنُ أباه، ويخرج من ذهبان، ومن ثمّ خرج الأبّ منها أيضاً إلى الواديين(١٢٢)؛ ولذلك لم يهتم أبو علامة بتتبع حال الشيخ ابن الحفارص. والله أعلم .

فمن هذه النصوص التي اشتملت عليها هذه المخطوطة: قوله " وطلبوا جماعةً من عُقّال عسير، فوصل مشايخ بني مغيد «آل مدحان»، فأعطوهم ما طلبوا، وشرطوا عليهم أن يُوصلوا الإمام إلى ذهبان، فارتحل بأولاده إلى مهاجر آبائه وأجداده . فلمّا وصل به المشايخ قريتهم «مناظر»(١٢٣) قرّت من العلماء القلوب والنواظر(١٢٤). فمن خلال هذا النّص نقف على عدّة حقائق منها أنّه لم يكن في أبها حاضرة عسير وقت ذاك أية سلطة غير سلطة القبيلة(١٢٥)، كما نستفيدُ منه أنّ زعامة قبائل عسير في "أبها" كانت لبني مغيد، وأنّ الشيوخ الذين كان بأيديهم الحلّ والعقد كانوا آل مدحان؛ كما نستدلّ منه على أنّه كان لكلّ قبيلةٍ حدودها، ونظامها، فلا يجرؤ أحدٌ من القبيلة المجاورة على تجاوز هذه الحدود إلاّ بإذنٍ مسبقٍ، وعهدٍ من القبيلة الأخرى .

وهنا نصٌّ آخر مهمٌّ ورد في هذا المصدر المخطوط: " ثم انتقل منها إلى «ذَهبان» وهو خيارُ بلاد شهران(١٢٦)، وذلك في غُرّة شهر رجب من السنة المذكورة، فلما وصل إليه تلقّاه الشيخ الرئيس الأمجد مُحبّ آل محمّد « مُرَيّع بن مانع بن ناصر بن الحفارص»(١٢٧). ومن خلال هذا النص البيّن نستخلصُ أنّ قبيلة شهران العريضة كانت لها مشيختها القائمة بذاتها، ولم تكن لها علاقة بغيرها من القبائل المجاورة، وهذا من أوضح الأدلة على بطلان مزاعم إمارة اليزيديين الأمويين في عسير. كما أنّ إشارة مهمّة إلى أحد شيوخ شهران المشهورين، والذين سكتت جميع المدونات، والمؤلفات، والوثائق عنه– كما سبق القول–

وعندما أراد الامام عبدالله المؤيدي مواصلة رحلته إلى الواديين(١٢٨)، أقسم

عليه هذا الشيخ بأغلظ الأيمان أن لا يُبارح ذهبان، وأن يبقى في ضيافته حتى يُدرج الشيخ بن الحفارص في الأكفان، أو يأتي الإمام نصرٌ من الله؛ فرضخ حينها الامام.." وبنى له الشيخ داراً عُظمى، وكان محلّه المحلّ الأسمى، وقام به القيام التام، وانتظمَ به حال الإمام ، وأمر الشيخ جميع من تحت يديه من قبائله بتسليم واجباتهم إليه، وساق للإمام وأولاده ما يحلّ لهم من الزكوات، واستمرّ على ذلك أحسن الحالات ووصل إليه مشايخ "رُفيدة"[١٢٩]، و"قحطان"[١٣٠] فبايعوه، وألزموا قبائلهم بسوق واجباتهم إليه من جميع الأوطان؛ واهتدى على يديه أكثر أهل تلك البلدان"[١٣١]. وهذا النّص واضحٌ بمضامينه، سواءٌ في تصوير الحالة السياسية، أو الدينيّة للإقليم ولا يحتاج إلى تعليق لمن تأمّل. وقد وردت في المصدر ذاته، وفي مصادر أخرى إشارات ضمن السياق نفسه إلى أنّ الإمام خرج في مجموعة من شهران وقحطان في سنة ٩٩٦هـ ، وكان على رأسهم الشيخ مريّع بن مانع بن الحفارص، كما وعدته خولان بالنصرة إذا وصل إليها . لكنه حينما انطلق تخاذل عنه الكثير سواءٌ من قبائل عسير، أو خولان وهمدان، ولم يثبت معه إلاّ قلّة كان على رأسهم الشيخ مريع بن الحفارص، فوصل إلى سوق الربوع ببني رازح في خولان ، واصطدم بفرقة من الأتراك فانتصر عليهم، ويبدو أنّه كان يُمنّي نفسه بأن تُرحب به خولان وهمدان، وتنهض معه، وتدعوه إلى المقام بين ظهرانيهم؛ ولكنهم خذلوه فعاد مع الشيخ بن الحفارص إلى ذهبان[١٣٢]. وقد أشار إلى هذا في قصيدة له وردت في التحفة العنبرية، ممتدحاً ابن الحفارص، ومُشيداً بوقفته معه، ونصرته له ومنها:

وحثّوني على التعجيل حتى ... توخيت انتهاضاً واهتماما

وقد عاهدتُّ جيراناً لدينا ... فلبوني امتثالاً واختداما

كشهرانٍ وقحطانٍ ومنهم ... رُفيدة فافهم القول افتهاما

هم الأنصار للماضين منّا ... فوارس؛ لا يخافون الحساما

إلى أن يقول:

وإنّ كتيبـةً كالليـــل حـــــولي كمثـل السـيل تحسبهـا سهـــاما
رجـــالٌ لا يخـــافون المنايـــا كـــأنّ لهـــم بلقياهـــا غرامـــا
ونجـــلُ حفـارصٍ فـيهم زعيـــمٌ أبـا مرعـي ابـن مانعهـا الهُـمـامـا
هـو السـبّاق فـي كسـب المعـالي إذا شاهـــدت سـبقاً وازدحامـــا
ومن كمـــريعٍ إن عُـــدّ فخـــرٌ لقـد فـاق الـورى فيـه غـلامـــا
رضـيعُ الجـود وهـــو لـه حلـــيفٌ ولـــن يرضـــى افتراقـــاً وافتطـــاما

كما أشاد بشيخِ بني بشر من قحطان المسمى" عاطف بن بشر" فقال:

و"عاطفها ابن بشرٍ"[١٣٣] فهو فردٌ مجلّـــي الضـــيم لا يرضـــى اغتمامـــا
فـلّله المشـــايخ مـــــن كرامٍ رَقَـــوْا فـي المجـــد والفخـر السّـناما
إذا مـــا الحربُ شبّ لها وقـــودٌ فـلا يخشـــون حـــــرّاًو اضطرامـــا
ولست تـــرى لـــهمُ إلّا وجوهـــاً علـــيها البـــشـــر حـــقـــاً وابتـــساما

فأنت ترى في هذه الأبيات الشعريّة إشادةً بزعامات قبلية في قبائل شهران، وبني بشر قحطان كانت مشهورةً حين ذاك- أي خواتيم القرن العاشر، ومستهل الحادي عشر الهجري، كانت لها الصولة، والمكانة، وقيادة قبائلها فيحفزُك هذا إلى أن تتساءل أين الأمير ثامر بن عبد الله اليزيدي الذي حكم – بزعمهم- بين سنتي (٩٨٩-٩٩٨هـ) والذي كان يخرج أميراً على قافلة الحج العسيري، وأخيه من بعده الأمير سالم بن عبدالله الذي حكم بين(٩٩٨-١٠٠٥هـ)[١٣٤]، ولماذا تجاوز الإمام عبد الله بن علي المؤيدي أمراء عسير المشهورين، وتوجّه بالمدح والإشادة للزعامات القبيلة في شهران وقحطان فقط ؟!

وعلى كلّ فالأمر ينسحب أيضاً على القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي فإذا نظرنا في أحوال بلاد عسير والسراة خلال هذا القرن مما ورد

في المصادر اليمنية، وغيرها سنقف على أحداثٍ ونصوصٍ تدلّ كذلك على خلوّها من أية سلطة حاكمة تتولى إدارة شئونها، ولم يكن هناك غير الزعامات القبلية القائمة في نطاقها الحدودي المتعارف عليه بين قبيلة وأخرى، بل إنّ في بعض هذه النّصوص ما يدلّ على أنّ الأمن كان مفقوداً، والصراعُ الداخلي بين بعض القبائل والأخرى كان محتدماً. ومن هذه النصوص على سبيل التمثيل لا الحصر:

- ما ورد عند يحيى بن الحسين (ت١٠٩٩هـ/١٦٨٧م) وهو – مؤرخٌ معاصر – عند الكلام عن حوادث سنة ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م) أنّ جماعة من بلاد شهران التي تقع بين الحرجة وبلاد بيشة وفدوا إلى الإمام القاسم بن محمد، وطلبوا إليه أن يُرسل معهم من يقبض زكواتهم، فأرسل معهم سيدٌ من بني الكبسي[١٣٥] . وعليه فلو كانت هناك سلطة سياسية لما احتاج هؤلاء أن يذهبوا الى سلطةٍ أخرى لتُشرف على عملٍ من أخصّ ما يمكن أن تقوم به أية سلطةٍ ذاتُ كيانٍ سياسيٍّ قائم .
- أشار الجرموزي أيضاً في حوادث سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م إلى أنّ الشريف حسين بن مغامس أصبح والياً على بيشة وأعمالها، كما فرض ضريبة على سالكي طريق الحج السروي الذي يبدأ من اليمن وينتهي إلى بيشة مروراً ببلاد قحطان وشهران في عسير والسراة[١٣٦]، والحالُ أيضاً في سنة ١٠٩٧هـ/ ١٦٨٥م، فقد ذكر يحي بن الحسين أن سلطة، وحكم الشريف أحمد بن زيد شريف مكة قد امتد على بلاد نجد اليمن إلى قريب نجران، والحرجة..[١٣٧]، وفي سنة ١٠٩٨هـ/١٦٨٦م خرج هذا الشريف حتى نزل بلاد عنز، لأنّهم قطعوا الطرق، فأخضعهم، وأمّن الطرق، وانتهب عليهم كثيراً من مواشيهم، بعد أن قبض على جماعة من مشايخهم، وحملهم معه، وما أخذه من مواشيهم إلى مكة المكرمة[١٣٨].

وفي السياق نفسه في السنة نفسها خرج الشريف أحمد بن غالب بأمر

الشريف أحمد بن زيد من بيشة إلى نواحي ذهبان، وأطراف بلاد قحطان للتصدي للأتراك خشيةً من الوصول إلى هذه البلاد، وبسط نفوذهم عليها(١٣٩). وهذه النصُّوص لمؤلفين معاصرين يتضح منها أن سلطة أشراف مكة كانت تمتدّ في بعض الفترات الزمنيّة من هذا القرن على أجزاء من إقليم عسير، وتخرجُ جيوشهم إليها بين آونةٍ وأُخرى، ولا يجدون أمامهم إلاّ القبائل وزعاماتها، وفي السياق ذاته يردُ نصٌ آخر عند يحي بن الحسين أيضاً في حوادث سنة (١٠٩٤هـ/١٦٨٢م) مهمٌ جدّاً، ودلالاته واضحةً وضوح الشمسِ لكلّ ذي بصرٍ وبصيرة من الباحثين المنصفين؛ حيث يقول يحي بن الحسين في ثنايا حديثه عن عزم قافلة من حجاج اليمن الخروج إلى مكة المكرمة عن طريق السراة في هذه السنة، ناقلاً عن عمن شاهدَ، وحضرَ، وعاين « وأخبرَ الُحجّاج من بني عضيّة – قبيلٌ من خولان العالية(١٤٠) – الّذين جاءوا بطريق السراة أنهم لمّا وصلوا قرية مضفاة(١٤١) وجدوا جماعةً على أبواب قريتهم مقتولين، وذلك لغزوةٍ غزتهم من قريةٍ أخرى بينهم وبينهم خصومة وفتنة لا تزال ثائرة لعدم الدولة عليهم، لأنّ هذه البلاد بين دولة صاحب اليمن، والشريف صاحب مكة، ما بين الحرجة وبين تبالة، وبين هذين المحلّين نحو خمسة أيام، وهي البلاد المقابلة لبلاد الحرامية على طريق تهامة(١٤٢)، ومن جُملتها وادي ذهبان شهران، فهذه البلاد لا دولة عليها لانقطاعها وانفصالها بين الدولتين دولة صاحب اليمن وصاحب الشام..» الخ(١٤٣). بينما تزعم تلك المؤلفات أنّه كانت هناك أُمراء، وإمارة قائمة لليزيدين في هذه السنين التي وردت في النصوص السابقة في عموم بلاد عسير(١٤٤)؛ وما زلنا مع المؤرخ الثقة يحي بن الحسين بن القاسم وهو يسوقُ لنا نصّاً مهماً وقيّماً ينفي بما لا يدعُ مجالاً للشكّ ذلك الإفك الأكبر من التحريف، والتزييف، والإصطناعِ، والإختلاق، والتزوير في تلك المدونات، والمؤلفات العسيرية الزائفة، وعلى أنّ حقيقة الواقع وفق المصادر الموثوقة هو عدم وجود سلطة سياسية في هذه المنطقة على مرور الأزمان،

وإنّما هي سلطة قبلية لا تتجاوز كلّ قبيلة القبيلة الأخرى في نطاق أرضها وحدود أملاكها، يتضح هذا من قوله[١٤٥] : « وفي هذه الأيام جاء خبرٌ أنّ عَبيدة (قحطان) بنواحي بلاد شام صعدة تحاربوا هم وقبائل بلاد الدرب، ما بين الحرجة وبين ذهبان شهران، فهزمَت عبيدة أهل الدرب، وخرّبوا الدرب وهذه القبائل بين الدولتين دولة صاحب اليمن وصاحب مكة، والسلطان ابن عثمان ، لا دولة عليهم على مرور الزمان » .

ويعود يحي بن الحسين فيُورد لنا نصّاً مهماً فحواه أنّ سلطة شريف مكة خلال أواخر هذا القرن(١١هـ)، وبداية القرن(١٢هـ) كانت تمتدّ في كثيرٍ من الأوقات الى ذهبان شهران، وتتجاوزها إلى بلاد الحرجة، وما والاها؛ وأنّ سُلطانه، ويده تصلُ إلى هذه البلاد، وأنّه كان يضطلع بمسؤلية توفير الأمنِ على طريق الحاج اليمني خلال هذه البلاد، وعندما تقوم هذه القبائل التي لا يزعهم قرآنٌ، ولا سلطان بقطع الطريق، أو عصيان أوامره لهم بإرسال الحملات لإخضاعها لحكمه، وإلزامها بطاعته، ويجعل عليها من يجمع له زكاتهم، لكن يبدو أنّ صولة هذه القبائل وتمردها على السلطة تؤدي إلى صدامات وخسائر بشرية بين الجانبين . قال يحي بن الحسين: « وفي سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٧م حصل قبل الحج في ذهبان شهران حربٌ من القبائل حولي بيشة، وبين أصحاب الشريف الّذي خرج إلى جهاتهم، فراح من أصحاب الشريف جماعة؛ وفيهم الشريف عبدالله بن بشر فجهز الشريف عساكره عليهم ، فقتلوا منهم طائفة وانتهبوهم، وبلغت يدُ الشريف– أحمد بن زيد– إلى ذهبان، والحرجة، وحدود عبيدة قحطان زيادة على بلاد بيشة»[١٤٦].

وإذا انتقلنا إلى القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي فسنجد العديد من النصوص التي تصبُّ فيما نهدفُ إليه في هذا البحث من خلوّ بلاد عسير من أيّ شكلٍ من أشكال الحياة السياسية، والسُّلطة الحاكمة، سواءٌ من آل يزيد الأمويين، أو غيرهم قبل دخولها تحت نفوذ وحكم الدولة السعودية في مطلع

القرن الثالث عشر/التاسع عشر الميلادي؛ ولأنّ النصوص المصدريّة كثيرة فسنقتصر على بعضها مما فيه دلالة واضحة على مرادنا؛ فمن هذه النّصوص ما ورد في أحداث سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م عندما ظهر في بعض بلاد اليمن رجلٌ مجهول يُعرفُ بأبي علامة[١٤٧] ادّعى أنّه المهدي، ولبّس على العامّة بطلاسم، وأعمالاً سحريّة، واستطاع أن يجمع كثيراً من الناس حوله، ويستولي على كثيرٍ من البلاد اليمانيّة والشامية، لكنّ أمره تضعضع بعد أن اصطدم بجيش الشريف محمد بن أحمد الخيراتي[١٤٨] أمير المخلاف السليماني، فاضطرّ أبو علامة إلى مراسلة قحطان، والتلبيس عليهم، وإغرائهم حتى خرج إليه منهم جمعٌ كبير؛ قال البهكلي، والجرافي:" فوصلت المحاطّ الكثيرة التي قلّ أن يُعهد مثلها بالمخلاف السليماني من قبائل قحطان من عسير بسبب استدعاء أبي علامة لهم لنصرته، وموّه عليهم من إجابة دعوته، لأنّه أرسل إليهم الرايات والمجاذيب، فنهض إليه منهم ما ينيفُ على سبعة آلاف مقاتل مشاة، وعلى كلّ نجيب"[١٤٩]. لكنّ هذه الآلاف من قحطان عندما وصلوا إليه لم يجدوا ما وعدهم به من الأموال، فثاروا عليه، وأخرجوه، وقتله رجلٌ من مشايخهم يسمى ابن حرملة، وحمل رأسه إلى إمام اليمن المهدي صاحب المواهب، فأجزل له الأمام المكافأة، ورتّب له مقرراً سنوياً[١٥٠]؛ ويظهر لي أنّ هذا التصرف من الشيخ القبلي لم يكن تبعيّةً، ولا خضوعاً لسلطة الإمام بقدر ما كان بحثاً عن المكافأة، حتى لا يعودوا من خروجهم بخفي حنين، ولأنّ (أبو علامة) كان قد دوّخ الامام الزيدي، وهزم جيوشه، واستولى بمن خرج معه على كثير من بلاده . وفي سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م عندما عاثت يامُ فساداً في تهامة استعان بهم- قحطان – الأمير الشريف محمد بن أحمد الخيراتي فخرج ما يُقارب الألف مقاتل من قبائل الشام : وادعة، وسنحان، وعبيدة، واشتركوا معه في وقعة المحصام[١٥١]، وفي هذا دلالة على أنّهم لم يكونوا يدينون بولاء لسلطة محليّة عدا سلطة مشايخهم، ولذلك كانوا أمام الحاجة إلى المال لا يمتنعون عن من يطلب معونتهم العسكرية.

وحسبك أمام هذا النصوص المصدرية أن تجد في المدونات الزائفة، ومن اغترّ بها من الباحثين المعاصرين، وانساق خلف أوهامها محاولات لترسيخ، وبثّ مزاعم أنّ بلاد عسيرَ كافة كان يحكمها في هذا الوقت(١١٢٢هـ-١١٩٨هـ/١٧١٠- ١٧٨٣م) الأمير محمد بن أحمد بن يحي اليزيدي الأموي، وابنه مرعي بن محمد الذي يمتدُّ نسبهما إلى يزيد بن معاوية[١٥٢].

وأما إذا عُدنا إلى بعض رسائل، ومؤلفات أحد أبرز علماء آل الحفظي، وهو العلامة أحمد بن عبدالقادر الحفظي [١٥٣] فسنجدها تطفحُ بما يدلّ على عدم وجود إمارة، أو سلطة سياسية حاكمة في هذا الإقليم لا من اليزيديين، ولا من غيرهم، قبيل وصول نفوذ الدولة السعودية، والدعوة الإصلاحية إلى عسير سنة١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م [١٥٤].

ولعلّي أقتصر على بضعة أمثلة مستقاة من رسائله إلى بعض شيوخه من آل الأهدل في اليمن الأسفل تنصُّ ألفاظها على عدم وجود أيّ سلطةٍ غير سلطة القبائل، ولا أيّ نظام حكمٍ غير أعراف هذه القبائل خلال القرن الثاني عشر، وبداية القرن الثالث عشر الهجريين/ الثامن عشر الميلادي. فيذكر العلامة الحفظي في سؤالٍ من هذه الأسئلة لجوؤه عند القيام بالحكم فيما يشجر بين القبائل في جهته إلى الأعراف القبليّة السائدة لدى هذه القبائل منذُ قديم الزمان، وأنّهم يرفضون النزوع إلى الحكم الشرعي، ثمّ يُعلّل الحفظي لشيخه نزولهُ على إرادة القبائل في الأخذ بالعرف القائم على عموم الصُّلح وما يتعلّق به، دون الركون إلى حكم الشرع، لأنّهم فوضى لا سراة لهم، ولأنّه لو أخذ بالحكم الشرعي لحدثت مفاسد كُبرى قد تؤدي إلى سفك الدماء بينهم، ويردُّ هذا إلى "خلوّ الجهة عن ولي الأمر..."[١٥٥]؛ ويتكرّر تنويه الحفظي بخلوّ هذه البلاد من ولي الأمر، والسلطة الحاكمة التي تُقيم الحدود، وتُلزم القبائل بالخضوع، والانقياد لها؛ من خلال ختم أسئلته إلى شيوخه بجملته التي ترد دائماً في آخر كلّ سؤالٍ من أسئلته هذه ، وهي قوله : " مع ملاحظة خلوّ الجهة عن ولي الأمر، واستمرارهم

على عُرف القبائل المعروف.."[١٥٦] .

وفي سؤالٍ آخر يقول لشيخه: "ما قولكم عن صبيّ ادّعى على صبيٍّ مثله بأنّه قد لزم برجله وسحبه في الدرجة الفلانيّة فوقع على ظهره.. وشاعت هذه الدعوى، ومات الصبيّ من ذلك الأثر، فقام وليّهُ مُدّعياً على ولي الآخر، وطلب الثأر، والحالُ أنّهم قبائل فوضى من جهة، وخالية عن ولي الأمر، وإنّما يرجعون فيما شجر بينهم إلى أعرافٍ لهم، وحصل من ذلك الهرج والمرج ..." ويسأل الحفظي شيخه عن هذه الدّعوى هل هي باطلة من أصلها، لا سماع لها شرعاً، أم هي من المتشابهات...الخ؛ وقد أجابه شيخه، وذكر من ضمن جوابه أنّ على عرائف القبائل نصبَ حاكم شرعي يُنفذُ الأحكام الشرعيّة..[١٥٧]؛ وفي سؤالٍ آخر إلى شيخه يذكر الحفظي أنّ حادثةً وقعت بين صِبيانٍ يلعبون في ساحة القرية فرجم أحدهما الآخر ففقأ عينه، وأنكر وليّ الجاني الجناية، وحصل شجارٌ وفساد ذات البين، فتوسط الحفظي بينهم لوأد الفتنة لأنّها لو تُركت لتطور الأمرُ إلى مالا تُحمد عقباه... ويُكرّر الحفظي سبب تلك الفوضى في ختام رسالته بقوله " ولو أُهملَ حصل من المفاسد ما لا يخفى على من عرفَ من أحوال الجهة الخالية عن ولي الأمر..."[١٥٨]؛ ولذلك أضطرّ أهل بلدة رجال وعلى رأسهم الفقهاء من آل بكري العجيلي، وبقيّة الأسرة العُجيلية، وأهلُ الحلّ والعقد من كبار رؤوس الأسر التي تسكن إقليم رجال ألمع إلى كتابة عهدٍ– أو تجديده – في سنة١١٥٩هـ، لتنظيم أمور الحياة، وفرض الأحكام، وتوزيع المهام في القرية، وما يليها، وتعيين الضمناء للقيام على تنفيذ هذا العهد، والإتفاق، والحيلولة دون الإخلالِ به ومن ثمّ تفشي الفوضى، واختلال الأمن في أوساطهم[١٥٩].

وأمام هذه الحال التي أصارت إلى كثرة الفتن، والمشاكل بين القبائل في هذا الإقليم يُمكن أن نفهم دوافع العلاّمة الحفظي لإرسال رسالةٍ إلى الإمام الزيدي علي بن الإمام المهدي العباس بن المنصور حسين بن القاسم (ت ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م) قُبيلَ وصول الدعوة الإصلاحية، ونفوذ الدولة السعودية

الأولى، يُخبرهُ فيها بأنّه قام يدعو الناس في بلاده إلى بيعة الإمام المذكور، ويحظّهم على السعي إليه، والانضواء تحت رايته، وسلطته؛ ولكنه اضطرّ إلى التوقف عن ذلك عندما بدأ وصول أمر عبد العزيز النجدي إليها(١٦٠)، ودخول البلاد في طاعته.. فشكر له الإمام فعله، وبعث له بجائزة سنيّة قدرها ستون قرشاً فرانصة، وكسوة عظمى(١٦١) .

ومن المؤكد أنّ العلاّمة الحفظي يعلمُ حقّ العلم أنّ هذه الجهة من بلاده، وغيرها من إقليم عسير لن يقبل بدعوته للإنضواء تحت حكم الإمامة الزيديّة أو غيرها، إمّا لاختلافهم في المذهب، أو لأنّ هذه البلاد عصيّة على الدخول تحت نفوذ أيّةِ سلطة خارجية؛ لكنّ حالة الفوضى التي كانت تضربُ أطنابها، والجهالة المتفشية في إقليمه، وضعف الوازع الدّيني هو ما حداه إلى محاولته؛ وهناك إشارة غامضة وردت عند القبي أثناء كلامه على السيد الشريف العلامة أحمد بن إبراهيم النعمي الأخرش (ت ١١٥٧هـ على الظنّ)(١٦٢) حيث يقول" ..وقد همّ بالقيام في بلاد رجال ألمع.."(١٦٣)، ومن يتأمّل هذه الجملة من النّصّ، وينظر فيما سبق من كلام العلامة أحمد بن عبد القادر الحفظي، ويستحضر كون النعمي من أوائل شيوخه والمؤثرين تأثيراً كبيراً في شخصيّته سيستشفُّ لا محالة أنّ السيّد النعمي– ونظراً لِما كان له من مكانة عظيمة في رجال ألمع التي رحلَ إليها من المخلاف السليماني– قد فكّرَ، أو عزمَ أمام ما لمسه من فوضى، وجهالة في تلك البلاد، وعدم وجود حاكم يضبط أُمورها أن يدعوَ لنفسه بالإمارة مستفيداً من محبةِ أهلها لهُ، ومكانة أهلُ بيت النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم فيهم؛ ولكنّه تراجع على ما يبدو زهداً، وخشيةً لله؛ والله أعلم .

وكيف ما كان الأمر فتقودنا ما أشارت إليه تلك الأمثلة مما ورد عند الحفظي، وغيره من استمرار القبائل في هذا الإقليم على أعرافهم، ونُظمهم القبليّة التي توارثوها كابراً عن كابر منذُ قرون عديدة؛ إلى توضيحٍ موجزٍ عمّا ألمحنا إليه في مقدمة البحث من ضعف أو انعدام أيّ وجهٍ من وجوه الحياة العلمية

بمفهومها المعروف، والنشاط الثقافي الفكري في هذا الإقليم في العصور الوسيطة، والمتأخرة الأمر الّذي جعل- مع الجهالة، وضعف الحالة الدينية في بلاد عسير- الأعراف القبلية المتوارثة تحلّ محلّ الأحكام الشرعيّة التي اضمحلّت نتيجة عدم وجود علماء، وطلبة علم ينشرون علوم الشريعةِ علماً، وتعليماً بين هذه القبائل، ويوقظون فيهم أهمية التمسّك بشريعة الإسلام، ونشرها بين القبائل التي وصمها الكثير من المصادر بالجهالة الدينية، والعلمية؛ واستمرّ ذلك حتى وصول موسى بن جغثم العُجيلي من بلدهِ "بيت الفقيه"[١٦٤] في اليمن الأسفل في مطلع القرن الحادي عشر الهجري/ نهاية القرن السادس عشر الميلادي إلى عسير، واختطاط بلدة "رُجال"، وبناء أول مسجدٍ فيها، والقيام بالدعوة إلى الاسلام في بلاد عسير[١٦٥]؛ ثم أبناؤه، وحفدته من بعده بالدعوة إلى الله، ونشر العلم الشرعي فيها، وقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى دانت عموم عسير للدولة السعودية، واعتنقت الدعوة الإصلاحية[١٦٦]. وهذه حقيقة نصّ عليها عددٌ من المراجع الحديثة[١٦٧] .

ومن الإنصاف أن نذكر أنّ هذا الاقليم قد خرج منه في العصور الإسلامية المبكرة شخصيات مشهورة التحقت بركب النبوّة بعد أن اعتنقت الإسلام، وكان لقبائلها أثراً واضحاً في الفتوحات الاسلامية شرقاً وغرباً؛ لكنّ هذه الطبقة من أهلها نزحت عن بلادها، ولم يعد منهم، أو من ذريّاتهم – على حد علمي- أحدٌ إلى إقليمه حتى يحمل مشعل العلم، ويتوارثونه فيها وينشرون عقيدة الدين، وشرائعه[١٦٨]؛ وهذا مع انصراف أهله إلى حياتهم المعيشية، وانشغالهم بها، وانغلاقهم على أنفسهم في بيئاتهم، وبلدانهم، وضعف صِلاتهم بمن حولهم في البلاد التي كانت تشهد نهضةً علميةً، وفكريّة قد أدّى بهم إلى الدخول في حالة من العتمة الدينية والعلمية؛ ولا علاقة لما حلّ بالخلافة العباسية، ودخولها في عصر التفكك، والتخلّف في آخر أيامها بحالة هذا الإقليم كما يحاول البعض الرّبط بين الوضع الديني، والعلمي المُعتم في اقليم عسير، وأوضاع الدولة

العباسية[١٦٩]، ذلك لأنّ هذه البلاد من خلال العرض التاريخي المتقدّم لم يكن لها، ولقبائلها صلة واضحة بالدولة العباسية، ولم تكن من حواضرها، كما لم يكن لأهلها أيّ اهتمامٍ بما يدورُ حولهم من أحداث، وما يقع من تحولات سياسيّة أو عسكريّة في البلاد التي يجاورونها ناهيك بتلك الوقائع التي حدثت على بُعد ألاف الفراسخ عنهم ؛ وعليه فمن أين يأتي التأثير المزعوم .

ومهما كان الحال فعلى الرّغم من هذه النصوص المصدريّة التي سنذكرُ بعضها، ويؤكدها ما يذهب إليه بعض المعاصرين مما فيه دلالة على أنّ هذه البلاد قد دخلت في حالة من السبات العقدي والعلمي، ونوعٍ من العتمة الحالكة التي تصل إلى الجهالة بكثير من أمور الدّين، وانعدام وجودٍ لأيّ شكلٍ من أشكال النشاط العلمي، والفكري في هذا الإقليم، وامتداد ذلك من بداية العصور الاسلامية الوسيطة حتى أوائل القرن الثالث عشر الهجري/ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي[١٧٠]، ولا يتنافى هذا مع ما وصفتْهم – أو بعضهم– بعض المصادر من رقّة القلوب، وبساطة في الدّعاء، وإخباتٍ وخشوع وقت ما يطوفون بالكعبة المشرّفة، ذلك لأنّ ابن جبير[١٧١] عاد فذكر صفة صلاتهم فجعلها من المضحكات فهم لا يُجيدونها، ولا يؤدّونها على الوجه الشرعي، فتارةً يسجدون دون ركوع، وأخرى يسجدون في الركعة سجدةً واحدة، ويلتفتون أثناء صلاتهم، ولا يتشهدون...إلى آخر ما ذكره ٠ وهذا يدلُّ على تواضع حياتهم الدينية، وتفشي الجهل، كما تدلّ على حالة البداوة ، والعزلة الاجتماعية التي كانوا يعيشونها[١٧٢].

والنشاط العلمي بديهياً متعلّقٌ بالجانب الديني، فإذا كانت الحالة الدينية ضحلة على ما أوضحته النصوص، والشواهد السابقة، فمن المؤكد أن يكون النشاط العلمي منعدماً بجميع أنواعه، وصوره؛ أو ما يصفه بعض المعاصرين بوصفٍ غير دقيق" التعتيم العلمي"[١٧٣]؛ وقد وردت عدةُ نصوص مصدريّة تُفصحُ عن هذا الجانب، وتنفي أن يكون بها من يعرفُ شيئاً من العلم، سواءٌ في

القرون الوسيطة، أو المتأخرة. وسأكتفي ببعضها كنوعٍ من الدلالة ليس إلاّ؛ وبعيداً عن التفاصيل، وهي تُضافُ إلى ما سبقها من نصوص.

فالسمعاني(ت٥٦٢هـ/١١٦٦م) يقول في كتابه في آخر نصّه عن مادة " السروي"، ".. وسرو ناحية باليمن مما يلي مكة، وهي قريات كثيرة مجتمعة يحضرُ منها جماعة كثيرة يحملون الميرة إلى مكة...ويُقالُ لهم: السرويّة، وأهلُ سرو لا أدري هل كان فيهم من يعرفُ شيئاً من العلم، أو حدّثَ، غير أنّي ذكرتهم ليُعرفوا"[١٧٤]؛ ويؤكد عز الدين ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م) في كتابه اللّباب، في مادة" السروي" ما ذكره السمعاني فيقول: " وإلى السرو، وهو ناحية باليمن مما يلي مكة وهي قُرى كثيرة مجتمعة يحضرُ منها بمكة جماعة كبيرة يجلبون الميرة. ولا أدري هل كان فيهم من يعلمُ شيئاً من العلمِ أم لا"[١٧٥] .

ويغلبُ على الظنّ أنّ هذا ليس على إطلاقه في جميع مجتمعات هذا الإقليم، وفي جميع القرون التي سبقت وصول الدعوة السلفية، فربما كان البعضُ– وخاصّة من كانت ديارهم متداخلة مع دولة الأئمة الزيدية – ونظراً لسهولة التواصل مع حواضر العلمِ بها كمدينة صعدة، فلا يبعد أن يكون لدى هذا البعض أثارةٌ من علمٍ، ومعرفة بأمور دينه؛ ذلك لأنّ العُمري يذكرُ أنّ (أبو جعفر بن غانم) قد حدّثه عن هؤلاء.. وذكر في عرضِ قوله أنّهم" أهلُ سلامةٍ وخيرٍ وتمسّكٍ بالشريعة، ووقوفٍ معها، يعضُّون على دينهم بالنواجذ.."[١٧٦].

ولعلّ هجرات بعض أعلامِ وعلماء الزيديّة إلى بعضِ المواضع من هذه البلاد– كما سبق ذِكره – وخاصّة ما كان متاخماً لبلاد الزيديّة؛ وما كانوا يعقدونه من حلقات، ودروس العلمِ فيها، ومنهم بعضُ علماء آل المؤيد الذين سبقت الإشارة إليهم. فعلى سبيل المثال كان بعضهم يعقد دروساً في فروع الفقه الزيدي، ويُملي، ويُقرئُ في بعض المؤلفات في علوم العربية، وغيرها من مؤلفاتهم في "الحرجة"؛ فالحموي – على سبيل المثال – يذكر في ترجمة ابن أبي الرجال أنّه

رحل إلى الحرجة فقرأ بها شرح الخبيصي على الكافية في النحو، وشرح التلخيص للسعد التفتازاني، وغيرها على السيد العلامة صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أحمد بن عز الدين المؤيدي[١٧٧]، وكذلك عبدالله بن علي المؤيدي عندما مكث سنين عديدة في كلٍّ من" ذهبان" شهران، و" الواديين" كان يعقدُ فيها الدروس، والتدريس والإقراء كما يقول ابنه[١٧٨] .

والذي يظهر أنّ أهل البلاد العسيرية لم يحتفلوا بهذه الدروس، وبقيت موجّهة لقلّة قليلة من الزيدية؛ وقد يعودُ هذا إمّا إلى كون أكثرهم من أهل السنّة الشوافع[١٧٩]، أو لعدم اهتمامهم بطلب العلمِ، وانشغالهم بأمور حياتهم الخاصّة، ومعايشهم، وإمّا لعدم وجود الهمّة، والدافع للتعلّم؛ والله أعلم .

على أننا عندما ننظرُ في بعض المؤلفات في العصور المتأخرة، كمؤلفات بعض علماء آل الحفظي، وغيرهم؛ وما ورد فيها مُعبّراً، وموضّحاً هذا الجانب في القرون المتأخرة سنجد أنّ هناك نصوصاً تُفصحُ عن واقع حال مجتمعات هذا الإقليم، وسيطرة الأعراف القبليّة عليهم في أحكامهم، وحياتهم اليومية، ومجانفتهم للأحكام الشرعيّة، وعدم قبولهم بها لعدم تعوّدهم عليها، وعلمهم بها، ولعدمِ وجود علماء، وطلبة علمٍ قاموا بنشرها، وترسيخها في هذه المجتمعات، أو كان لهم أثرهم في أيّ نشاطٍ علميّ، أو فكريٍّ مُفترض في هذه البلاد . ويمكن أن نُضيف إلى ما سبق من أمثلة ما ورد في أحد أجوبة شيوخ الحفظي من علماء آل الأهدل على أسئلة الحفظي التي يذكرُ فيها ميل هذه القبائل إلى الحكم بأعرافهم على ما تقتضيه أحكام الشريعة الإسلامية فقال: " واعلم ثانياً أنّ ما يتعارفهُ القبائل المذكورة في جهة الحجاز من الأعراف المخالفة للشرع، وكذا ما يتعارفه على ذلك الوجه غيرهم من القبائل قد تكلّم عليها أئمة الإسلام، وهُداة الأنام.." وساق شيخه له مجموعة من الأحاديث، والنصوص الشرعيّة، وأقوال العلماء، وفتاويهم في تحريم تقديم أعراف القبائل على أحكام الشريعة الإسلامية في مثل هذه القضايا التي تشجر بين الناس[١٨٠] . وفي رسالةٍ جوابية صدرتْ من الإمام الزيدي

المنصور علي بن الامام المهدي العباس(ت١٢٢٤هـ/١٨٠٩م) إلى شريف مكة غالب بن مساعد[١٨١] يشرحُ له فيها ملابسات وصول نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى بلاد عسير، وأنّ سلطانهم لم يصل إلى أغواره وأنجاده بل تسلّط- كما يقول – على "عوام أغتام لا يعرفون رسوم الإسلام، ولا يدرون بحلالٍ أو حرام، وهم أهلُ الشام القاطنون بيننا وبين الحجاز، ولم يكونوا داخلين تحت ولايتنا، ولا هم من أهل ملّتكم وملّتنا، بل هم جاهلية جهلاء، على نمط العرب الأولى فرعاً، وأصلا.."[١٨٢]؛ وفي نصٍّ آخر للعلامة الشوكاني(ت١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) يذكر أثناء حديثه عن وصول نفوذ الدولة السعودية، والدعوة الإصلاحية إلى بلاد عسير، وكيف كان لها أكبرُ الأثر في تعليمهم تعاليم الشريعة الإسلامية، وفي تصحيح عقيدتهم، وانتشالهم من غيابةِ الجهل إلى نور الإسلام فيقول:" .. ودخل في طاعته من عرب الشام الساكنين ما بين الحجاز وصعدة غالبهم إمّا رغبةً، وإمّا رهبة، وصاروا مُقيمين لفرائض الدّين بعد أن كانوا لا يعرفون من الاسلام شيئا، ولا يقومون بشيءٍ من واجباته إلاّ مجرّد التكلّم بالشهادتين على ما في لفظهم من عوَج. وبالجُملة فكانوا جاهليّة جهلاء كما تواترت بذلك الأخبار إلينا...الخ"[١٨٣]، ومثله النعمي في حولياته يصمهم في حوادث سنة ١٢٢١هـ بأنّهم قريبي عهد بالإسلام[١٨٤]، ويؤكد هذا ما ورد في تاريخ عسير من أنّ الأمير طامي بن شعيب قد بعث الفقيه العلامة عبد القادر بن أحمد الحفظي إلى كافة عسير السراة في سنة ١٢٢٦هـ لتعليمهم شرائع الإسلام[١٨٥] .

لكننا نقفُ على نصٍّ حادّ جدّاً تشوبه المبالغة على ما يبدو، الأمرالذي يجعلنا نذكره، مع عدم الاطمئنان إلى وجاهة أكثرَ ما ورد فيه حيث يذكر المستشرق بوركهارت وهو يتحدّث عن أهل هذه البلاد، وعما تتمتع به من خيرات، ومن قوّة أهلها العسكريّة، وفضل علماء الدعوة الإصلاحية في تعليمهم أمور الإسلام، وأنّهم قبلها لا يعرفون أكثر من الشهادة ما نصّه " ..قبل أن يقوم الوهّابيون بتعليمهم المبادئ الاسلامية الحقيقية، لم يكونوا يعرفون من دينهم أكثر

من لا إله إلاّ الله ، محمدٌ رسول الله، ولم يقوموا بتأدية الشعائر والطقوس المفروضة.."[١٨٦]، ومع التسليم بفضل الدولة السعودية الأولى، وعلماء الدعوة الإصلاحية، وما أحدثوه من تحوّل إيجابي على عسير، وأهلها[١٨٧]؛ فلا نجدُ تفسيراً، أو مسوّغاً لهذه النّصوص المتأخرة الحادّة التي تُصوّر الحالة الدينيّة، والعلميّة عند أهل هذه البلاد إلاّ أمرين، أو أحدهما؛ فإمّا أن تكون الحالة التي تم وصفها، وتوثيقها بالكثير من النصوص المصدريّة قد جعلت أوضاعهم تشتهر، وتذيع، حتى بلغ خبرها كلّ من جاورهم من البلاد، وأهلها نتيجة تناقلها ممن اتصل بهم، أو رحل إليهم، أو رحلوا إليه، أو مرّبهم– خاصةً وهم على طريق الحج ، والتجارة– أو خالطهم؛ وإمّا أنّ بعضاً من المبالغة قد شابت ما ذكرته تلك المصادر من تصوير هذه الأحوال لبيان أثر الدعوة الإصلاحية في التحوّل الكبير الذي أخرج أهل هذه البلاد من عتمتهم السياسية، وضحالتهم الدّينيّة؛ والجهل المتفشي فيهم؛ وما يقودنا إلى أنّ المبالغة واضحة في تلك النصوص وقوفنا على إشارات في بعض الوثائق تنصُّ على أنّه كانت لأسرة الداعية موسى بن جغثم العُجيلي منذُ وصوله في آواخر القرن العاشر الهجري إلى رجال ألمع في تهامة عسير؛ وبروز ابنه العلامة محمد بن موسى في مطلع القرن الحادي عشر الهجري ، وأبناؤهُ من بعده حتى وصول الدعوة الإصلاحية في بداية القرن الثالث عشر الهجري جهودٌ في نشر تعاليم الإسلام، وهداية الناس، وتعليمهم في هذه الجهات[١٨٨]، على الرّغم من شوائب العقيدة الصّوفيّة التي غلبت نتيجة نزعة هذه الأسرة كما هو معلوم؛ ولكن على ما يبدو كان تأثيرهم ضعيفاً، ومحدوداً حتى جاءت الدّعوة الاصلاحية فأحدثتْ تحولاً جذرياً في مجتمعات هذا الإقليم سراته، وتهامته؛ والله أعلم[١٨٩] .

كما أنّ هناك إشارات نادرة جداً إلى شخصيات وُسمت بلقب "الفقيه"، أو "العلامة" منذُ منتصف القرن الحادي عشر الهجري، وما بعده فقط ، وخاصّة في تهامة عسير، ولم يكن لبيوتهم التي ينتمون إليها عُمقٌ علمي، ولا توارث للعلمِ

كابراً عن كابر، ولم تُعرف بيوتهم بأنّها من حملةِ العلمِ منذُ قرون سابقة، بل يبدو أنّهم من تلامذة البيت العُجيلي في رجال ألمع[١٩٠] لكن يظهر أنّه من المجازفةِ بمكان ما ذهب إليه البعض من وجود علماء، وأسر علميّةٍ في هذه البلاد قبل أُسرة بكري بن محمد العجيلي، التي عُرفت بعد ذلك بآل الحفظي، وحتى لو افترضنا وجود بعض الفقهاء، في بعض المواضع من عسير إلاّ أنّ أغلبهم كان بعد وصول الدعوة الاصلاحية إلى هذا الإقليم، وتأثرهم به؛ كما لم يكن لهم أثرٌ واضحٌ في بلادهم، ولا يعدو دورهم أن يكون مقصوراً على الإمامة في الصلاة، أو تولّي بعض الأمور الإجتماعية للقبيلة التي هم فيها، ولم يكن لهم باعٌ في العلم كما الأسرة العُجيلية. ولا تسمحُ حدود هذا البحث بمناقشةِ هذه الاجتهادات التي لا تستندُ على أدلّةٍ ثابتةٍ واضحةٍ قويّة، والتي تذهبُ بعيداً في استشهاداتها عن إقليم عسير المعروف[١٩١].

وينقدحُ من خلال هذه الأحوال الدينية الضعيفة عند أهل السراة سؤالٌ نقذفُ به على من يذهب إلى وجود إمارة يزيدية متوارثة منذ القرون المبكرة إلى القرون المتأخرة، وأمراء طبّقّت شهرتهم الجزيرة العربية بصولاتهم وجولاتهم، وتمددهم السياسي والعسكري على أغلب بلاد الجزيرة العربية؛ ألم يكن لهم تأثير في تصحيح عقيدة، ودين رعيّتهم؟! أم كانوا مثلهم يعيشون في جهالةٍ، وضحالةٍ دينيةٍ لا يعرفون شريعة الله، ولا يُقيمون أمور دين الاسلام وشعائره وحدوده، ولا يفقهون هم ولا أعوانهم، وأسرهم شيئاً من العلمِ الشرعي، أو غيره من العلوم، ومن ثمّ لا يُجيدون هم ولا أعوانهم، وحاشيتهم كتابةً، ولا تدوينا، وكيف كانت دولتهم، أو إمارتهم المزعومة تعيش، وتحكم في ظلّ هذه الظلمات؟! .

الخاتمة:

- أرجو أن يكون في هذا الجهد العلمي ما يردُّ على تلك المؤلفات، والمدوّنات الزائفة المزوّرة، وما نسجته من أحداث، واختلقته من وقائع، وأسماء نظمتْ منه سياقاً تاريخياً سياسياً مصطنعاً لهذا الإقليم، ولتلك الدراسات والمؤلفات التي انساقت خلفها دون بصيرة، أو اغترّت بمحتواها .
- لعلّ فيما فصّلتهُ في ثنايا البحث غُنيةً لمن طلبَ دراسات معمّقة لهذه المؤلفات الزائفة قبل الحكم عليها بالزيف، والإختلاق .
- اتضحَ لكلّ باحثٍ متجرّدٍ من الهوى، والغفلة يبتغي الإنصافَ أنّ إقليم عسير كان قبلياً قُحاً لكلّ قبيلةٍ فيه نظامها، وشيوخها، واستقلالها، وحدودها، ولم تكن تجمعهم جامعة، ولا وحدّت كلمتهم سلطة قبل وصول الدولة السعودية الأولى، وضمها سنة ١٢١٥هـ .
- كان سكانها قومٌ بُسطاء في حياتهم الدينية، والفكرية، منشغلون بما هم فيه من أمور معايشهم، ومنصرفين إليها بكلّيتهم ؛ مع اتصافهم بصفات الشجاعة والكرم، والأنفة من الخضوع لأية سلطة داخلية، أو خارجية خلا سلطة شيوخهم القبليين حتى استطاعت الدولة السعودية ضمّهم، وبثّ تعاليم الدعوة الإصلاحية في مجتمعاتهم ، ومن ثمّ وإعادة تشكيلهم، سياسياً، وفكرياً، ودينياً؛ وانتشالهم بفضل الله من حياة البداوة القاتمة المعتمة، والدفعِ بهم إلى أُفق الحضارة الرّحب .
- اتضح من خلال البحث أثر الأسرة العجيلية منذُ عهد جدّهم، ومن بعده في الدعوة إلى الشريعة الإسلامية، والتعليم، والتنوير في مجتمعات جزء من عسير التهامية المعروفة بالحجاز .

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: **المخطوطات:**

- **أحمد بن عبد القادر الحفظي:**

– مسائل مفيدة وأبحاث عديدة وصلت من أحمد بن عبد القادر بن بكري العجيلي، مخطوط في ٦٤ ورقة ضمن مجموع، الكتاب الثاني عشر، أصله في مكتبة آل يحي برقم ١٤ فقه، الأحقاف، تريم.

- **أحمد بن محمد الشرفي:**

– اللآلئ المضيئة، مخطوط مصور – ق٢ نسخة المكتبة الغربية، جامع صنعاء الكبير.

- **الحسن بن أحمد الضمدي(عاكش):**

– قمع المتجرّي على أولاد الشيخ بكري، مخطوط بمكتبة علي الحسن الحفظي، أبها.

- **عبد الرحمن الحفظي:**

– تاريخ عبد الرحمن الحفظي، مخطوط أصله في مكتبة علي الحسن الحفظي، ومنه صورة لدى الباحث.

- **عبد الله بن حمزة:**

– الناصحة المشيرة بترك الاعتراض على السيرة"، أصلها في دار المخطوطات، الجامع الكبير في صنعاء.

- **لطف الله جحاف:**

– درر نحور العين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين (١١٨٩–١٢٢٤هـ) مكتبة الإمام زيد، صنعاء.

- **محمد بن عبد الله أبو علامة:**

– التحفة العنبرية في المجددين من خير البرية– أصله في مكتبة الغربية، الجامع الكبير بصنعاء.

- **مصطفى الحموي:**

– فوائد الارتحال، مخطوط مصور عن نسخة د. عائض الردادي، الرياض.

- **يحي بن الحسين:**

– طبقات الزيدية الصغرى (المستطاب)– مخطوط مصور عن نسخة دار المخطوطات، صنعاء.

ثانيا: المصادر المطبوعة:

- **أحمد بن أبي الرجال:**

– مطلع البدور ومجمع البحور في تراجم رجال الزيدية، تحقيق عبد الرقيب حجر، مركز آل البيت، صعدة ٢٠٠٤م.

- **أحمد بن محمد بن إبراهيم الأشعري:**

– كتاب التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، تحقيق سعد ظلام، دار المنار، د ت.

- **الحسن بن أحمد الهمداني:**

– كتاب الاكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق محمد بن علي الأكوع، صنعاء ٢٠٠٤م.

- **أبو الحسن محمد بن أحمد ابن جبير:**

– الرحلة، منشورات دار الهلال، بيروت، د ت.

- **الحسين بن أحمد بن يعقوب:**

– سيرة الإمام المنصور القاسم بن علي العياني، تحقيق عبدالله الحبشي، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ١٩٩٦هـ.

- **حميد الشهيد المحلي:**

– الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، تحقيق: المرتضى المحطوري (صنعاء، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.

- **سليمان الثقفي:**

– سيرة الإمام أحمد بن سليمان، تحقيق عبد الغني عبد العاطي، عين للدراسات والبحوث، ط١، ٢٠٠٢م.

- **عبد الرحمن البهكلي:**

– خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد، تحقيق ميشيل توشيرير، وعدنان درويش، دمشق، ٢٠٠٠م.

- **عبد الرحمن بن الديبع:**

– قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، حققه محمد الأكوع، بيروت، ١٤٠٩هـ.

- **عبد الكريم السمعاني:**

– الأنساب، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي، ط١، دار الجنان، بيروت، ١٩٨٨م.

- **أبو عبيد البكري الاندلسي:**

– معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، حققه وضبطه مصطفى السقا، عالم الكتب، ١٩٤٥م.

- **عز الدين بن الأثير:**

– اللباب في تهذيب الأنساب، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى، بغداد، د ت.

- **عز الدين، عبد العزيز بن فهد:**

– غاية المرام بأخبار سلطنة عمان الحرام، تحقيق فهيم شلتوت، ط١، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، ١٩٨٨م.

- **علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال:**

– شرح صحيح البخاري، ضبط نصه وعلق عليه ياسر ابراهيم، وإبراهيم الصبيحي، مكتبة الرشد، ط٢، الرياض ٢٠٠٣م.

- **علي بن محمد العلوي:**

– سيرة الهادي الى الحق يحي بن الحسين، تحقيق سهيل زكار، ط٢، دار الفكر، ١٩٨١م.

- **عمارة الحكمي:**

– النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، اعتنى به هرتويغ درنبرغ، شالون، ١٨٩٧م.

- **عمر بن فهد:**

– اتحاف الورى بأخبار أم القرى، حققه فهيم بن محمد شلتوت، ط١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.

- **ابن فضل الله العمري:**

– مسالك الابصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، تحقيق حمزة عباس، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م.

- **قطب الدين النهروالي:**

– البرق اليماني في الفتح العثماني، ط٢، منشورات المدينة، ١٩٨٦م.

- **مجهول:**

– تاريخ عسير خلال خمسة قرون في رسالة إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي تحقيق وتعليق محمد بن مسلط الوصال البشري، د ت، ١٩٩٢م.

- محمد بن إبراهيم شرف الدين:

– السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية – سيرة الإمام يحيى شرف الدين – تحقيق ودراسة، زيد الفضيل، ط١، ٢٠١٢م.

- **أبو محمد بن حزم الأندلسي:**

– جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط٥، دار المعارف.

- **محمد بن السائب ابن الكلبي:**

– جمهرة النسب، تحقيق محمود العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، د ت.

- **محمد بن علي الزحيف (المعروف بابن فند):**

– مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار، حققه عبد السلام الوجيه وخالد قاسم، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء٢٠٠٢م.

- **محمد بن علي الشوكاني:**

– البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين عبدالله العمري، ط٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٩٨م.

- **مطهر الجرموزي:**

– الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة – سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم – حققته: أمة الملك الثور، بمسمى: بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد الإمام المؤيد محمد بن القاسم، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

– النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، نشرته مخطوطاً مصوراً مكتبة اليمن الكبرى.

- **مفرّح بن أحمد الرّبعي:**

– سيرة الأميرين الجليلين الفاضلين، تحقيق رضوان السيد، وعبد الغني عبد العاطي، ط١، دار المنتخب العربي، بيروت، ١٩٩٣م.

- **ناصر خسرو علوي:**

– سفر نامة، ترجمة يحي الخشّاب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م.

- **هشام بن السائب الكلبي:**

– نسب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٤م.

- **يحي بن الحسين:**

– بهجة الزمن في تاريخ اليمن، حققته: أمة الغفور الأمير بمسمى؛ الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية، صنعاء، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.

ثالثًا: المراجع

- **إبراهيم المقحفي:**

– معجم البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء، ١٩٨٩م.

- **أحمد السباعي:**

– تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الرياض، ١٩٩٩م.

- **أحمد آل فايع:**

– دور آل المتحمي في مدّ نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى عسير وما جاورها(١٢١٥هـ-١٢٣٣هـ)، ط١، ٢٠٠٦م.

- **الحسن الحفظي:**

– مجموع في تاريخ عسير، تحقيق علي الحسن الحفظي، وعلي آل قطب، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت.

- **رياض أباظه:**

– إتمام الأعلام، دار صادر، ١٩٩٩م.

- **سيد مصطفى سالم:**

– الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨- ١٦٣٥م، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨م.

- **شعيب الدوسري (منسوب):**

– امتاع السامر بتكملة متعة الناظر، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٦٥هـ.

- عبد الرحمن آل حامد:

– العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، منشورات نادي أبها الأدبي، ٢٠٠٥م.

- **عبد السلام الوجيه:**

– أعلام المؤلفين الزيدية، ط٢، مؤسسة الإمام زيد، صنعاء ٢٠١٨م.

- عبد الكريم عائض آل طالع:

- قبيلة شهران بين الماضي والحاضر، بحوث تاريخية وجغرافية واجتماعية، د ت، د م.

- **عبد الله أبو داهش:**

- أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والادب بجنوبي الجزيرة العربية، طبعته الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٩هـ.
- أهل السراة في الجاهلية والاسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، إصدارات نادي أبها الأدبي، ٢٠٠٦م.
- أهل السراة في القرون الاسلامية الوسيطة، مطابع مازن، أبها، ١٤١٧هـ.
- عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى (١٢١٥-١٢٣٣هـ)، نادي أبها الأدبي، ١٩٨٩م.

- **عبد الله بن عبد الكريم الجرافي:**

- المقتطف من تاريخ اليمن، مؤسسة دار الكتاب الحديث، ط٢، بيروت، ١٩٨٤م.

- **عبد الله بن مسفر(منسوب):**

- أخبار عسير، ط٢، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٩٧٩م.
- السراج المنير في سيرة أمراء عسير، مؤسسة الرسالة، د ت، د م.

- **علي أحمد عسيري:**

- عسير من ١٢٤٩-١٢٨٩هـ دراسة تاريخية، نادي أبها الأدبي، ١٩٨٧م.

- **علي الحربي:**

- المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، منطقة عسير، أبها، ١٤١٧هـ.

- **علي آل قطب:**

- الامراء اليزيديون، عسير تاريخ لم يكتب، طوى للثقافة والنشر، لندن، ٢٠١٣م.

- **عمر غرامة العمروي:**

– قبائل إقليم عسير في الجاهلية والاسلام من ١٥٠٠ق م–١٢٠٠هـ، نادي أبها الأدبي،١٩٩١م.

- **غيثان بن جريس:**

– دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ط١، ٢٠٠٣م.

– صفحات من تاريخ عسير، الجزء الأول، ط٢، ١٩٩٤م.

- **فؤاد حمزة:**

– في بلاد عسير، مكتبة النصر الحديثة، ط٢، الرياض، ١٩٦٨م.

- **محمد بن أحمد الحجري:**

– مجموع بلدان اليمن وقبائلها، تحقيق إسماعيل الأكوع، ط٢، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ١٩٩٦م.

- **محمد الأكوع:**

– هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

- **محمد رفيع:**

– في ربوع عسير(ذكريات وتاريخ)،دار العهد الجديد، القاهرة ١٩٥٤م.

- **محمد آل زلفة:**

– دراسات في تاريخ عسير الحديث، ط١، د ت، ١٤١٢هـ.

– دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتأثيرها على مقاومة بلاد عسير ضد الحكم العثماني المصري من عام ١٢٢٦–١٢٥٥هـ، ط١، الرياض، ٢٠٠٣م.

– عسير في عهد الملك عبد العزيز(دراسة وثائقية)، ط٣، دار بلاد العرب للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠١٤م.

- **محمود شاكر:**

– شبه جزيرة العرب (عسير)، ط٣، المكتب الإسلامي، ١٩٨١م.

- **هاشم النعمي:**

– تاريخ عسير بين الماضي والحاضر، الرياض، ١٩٩٩م.

- **وهبي الحريري:**

– عسير تراث وثقافة، ط١، مطبعة شركة العبيكان،١٩٨٧م.

رابعًا: الرسائل العلمية:

- **علي بن سعد آل زحيفة الشهراني:**

– التاريخ الثقافي لقبيلة شهران العريضة من العصر الأموي إلى قيام الدولة السعودية، رسالة علمية مقدمة إلى أكاديمية الدراسات الاسلامية، جامعة ماليا، كوالا لمبور، ٢٠١٦م.

خامسًا: المراجع المعربة:

- **جون لويس بوركهارت:**

– رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ترجمة هتاف عبد الله، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م.

سادسًا: الدوريات العلمية:

- **عبدالله بن حميد:**

– دور أمراء عسير في نشر الدعوة السلفية، مجلة العرب، ج١٢،١١، السنة التاسعة جماديان، ١٣٩٥.

- **هاشم النعمي:**

– "عسير: قبيلةً وبلاداً"، مجلة العرب، ج٣، س٢٧، رمضان ١٤١٢هـ.

حواشي البحث:

١) من هذه المؤلفات المختلفة: "إمتاع السامر" بأجزائه، وكتاب تاريخ عسير في رسالة ابراهيم الحفظي، تعليق للوصال البشري،وأخبار عسير لعبد الله بن مسفر، ورسالة زين العابدين الحفظي، ، ومذكرات سليمان باشا، والعقد الثمين المنسوب لعاكش..الخ .

٢) من المعلوم أنّ مصطلح "عسير" الجغرافي مصطلحٌ حديث، فلم تكن معروفة كوحدة جغرافية، وإدارية خلال العصور الاسلامية الوسيطة؛ بل لم يظهر كمسمى جغرافي، وإداري إلاّ في مطلع القرن الثالث عشر الهجري/ الثامن عشر ميلادي .أنظر غيثان بن جريس، صفحات من تاريخ عسير، الجزء الأول، ط٢، ١٩٩٤م، ص٩-١٠.

(٣) طرق هذا الموضوع عدد من الباحثين المعاصرين، ومنهم غيثان بن جريس، وعمر غرامة.. وأسهب عبدالله أبو داهش في الكتابة عنه في كتابه أهل السراة في الجاهلية، والإسلام، إصدارات نادي أبها الأدبي، ٢٠٠٦م .. في صفحاتٍ كثيرة .

٤) انظر على سبيل المثال : محمد الأكوع : هجر العلم ومعاقله في اليمن، ج١، دار الفكر المعاصر (بيروت ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)،ص٤٥٣-٤٥٥، محمد آل زلفة، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتأثيرها على مقاومة بلاد عسير ضد الحكم العثماني المصري من عام ١٢٢٦-١٢٥٥هـ، ط١، الرياض،٢٠٠٣م ، ص٦ .

٥) علي أحمد عسيري، عسير من ١٢٤٩-١٢٨٩هـ دراسة تاريخية، نادي أبها الأدبي، ١٩٨٧م، ص ١١٥، وما بعدها .

٦) القصدُ بها هنا : رجال ألمع، وما حولها فقط .

٧) ممن اغترّ بذلك : محمود شاكر في كتابه، شبه جزيرة العرب(عسير) ص٥٦، عمر غرامة العمروي في كتابه :قبائل إقليم عسير في الجاهلية والاسلام من ١٥٠٠ق م-١٢٠٠هـ ، نادي أبها الادبي،١٩٩١م،١/٥٠، وما بعدها٨٢٦ وما بعدها، وعبدالله أبو داهش في كتابه: أهل السراة في القرون الاسلامية الوسيطة، مطابع مازن، أبها١٩٩٧م، ص ٣٦،وما بعدها.. على سبيل المثال .

٨) علي آل قطب، الامراء اليزيديون، عسير تاريخ لم يكتب، طوى للثقافة والنشر، لندن ٢٠١٣م، ص١٠٠.

=

=

=

٩) وردت الإشارة إليها في كثير من المصادر المبكرة منذُ ابن حوقل، ومن بعده، كما لا يكاد يخلو مصدر من المصادر المكيّة، واليمنيّة، وغيرها من إشارة إلى الإمارات، والأمراء المتعاقبون على إمارة حلي بن يعقوب. أنظر التفاصيل عند أحمد بن عمر الزيلعي، إمارة حلي بن يعقوب(آثارها وتاريخها في العصور الاسلامية الوسيطة وبواكير العصور الحديثة)، الجمعية السعودية للدراسات الأثرية، الرياض،٢٠٢١م، ص٩١، وما بعدها .

١٠) في كتابه : عسير تراث وثقافة، ط١، مطبعة شركة العبيكان،١٩٨٧م، ص١٩-٢١ .

١١) في كثير من انتاجه، ومنها على سبيل المثال، أهل السراة في القرون الاسلامية الوسيطة، مطابع مازن، ط١، أبها ١٩٩٧م، ص٢٩-٣٠ .

١٢) في كتابه "عسير"، المكتب الاسلامي، المكتب الاسلامي ١٩٨١م، ص١٢٠ على سبيل المثال .

١٣) في أكثر صفحات كتابه: قبائل عسير في الجاهلية والاسلام بجزئيه، نادي أبها الأدبي، ط١،١٩٩١ .

١٤) عمر غرامة العمروي، قبائل إقليم عسير في الجاهلية والاسلام،١/ ٢٦٩ وما بعدها . سبحانك هذا بهتان عظيم، وسيأتي في ثنايا البحث أن هذه البلاد كانت في هذه السنين تعيشُ في فوضى، وصراعات قبلية، وانقطاع الأمن فيها .

١٥) أول من تولّى كَبرهُ في هذه المعلومة المغلوطة هو محمود شاكر في كتابه: "شبه الجزيرة العربية- عسير- ص ١٢٦، والذي زعم أنّه نقلها عن مدوّنة سمّاها: مذكرات جعفر الحفظي، ثم نقلها عنه جماعة منهم وهبي الحريري في كتابه" عسير تراث وحضارة"، وجاء عبدالله أبو داهش فنقلها دون بصيرة في كتابه" أهل السراة في القرون الاسلامية الوسيطة، ص٢٩-٣٠ عن الحريري.. والغريب أنه لم يرجع لشاكر..وكلّ ما سبق هي أقوالٌ لا تصح، ولا يوجد ما يسندها، ناهيك بما فيها من زيفٍ واضح؛ وأخطاء ظاهرة لمن تأمّل، فالحريري (ت ١٤١٥هـ) مجرّد مصور سوري الأصل زار عسير(أنظر: رياض أباظه، اتمام الأعلام، دار صادر ١٩٩٩،ص٢٧٥) ، ولكن العجب من أبي داهش، وهو باحث معروف أن ينقل دون بصيرة عن الحريري كالمثبت لقوله .

١٦) هاشم النعمي،"عسير: قبيلةً وبلاداً"، مجلةالعرب،ج٣،س٢٧،رمضان١٤١٢هـ، ص١٩٨ . وسيأتي مناقشة بعض ما ورد في قوله هذا .

=

=

=

١٧) أحمد آل فايع، دور آل المتحمي في مدّ نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى عسير وما جاورها(١٢١٥هـ-١٢٣٣هـ) ص٥٠ ، وقد سرد عمر غرامة العمروي في كتابه :قبائل إقليم عسير في الجاهلية والاسلام من ١٥٠٠ق م-١٢٠٠هـ، نادي أبها الادبي،١٩٩١م،١/ ٦٤، وتبعه غيثان بن جريس في كتابه: دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ط١، ٢٠٠٣م ، د.م، ص٣٠٦ ، مجموعةً منها؛ وكلّها مؤلفات مزيّفة، ولا وجود لها البتة إلاّ في مخيلة من اختلقها .

١٨) قطب، الأمراء اليزيديون..في صفحات عديدة منها على سبيل المثال: ص١٠٤- ١٠٨، وما بعدها .

١٩) آل قطب ، المرجع نفسه صص ١٠٤-١٠٥.

٢٠) المرجع نفسه ١٠٥، ونقلاً عنه(حاشية(٣) انظر: تاريخ الأشراف، لابن عبد الشكور، ورقة ٤١١ .

٢١) آل قطب، المرجع السابق ص١٠٥-١٠٦. وورد النّصُ بصيغة التضعيف "يقال" في طبعتين من كتاب بوركهارت إحداهما بعنوان: ترحال في الجزيرة العربية ، ج٢، ترجمة صبري محمد حسن، المركز القومي للترجمة- القاهرة ٢٠٠٧م، ص ١٧٧، وورد النصُّ فيها : " يُقال إنّ الوهّابيين نقلوا أحمالاً كثيرة من الكتب بعد غزو المدينة المنورة، وهذا يعني أنهم تصرّفوا في الكتب بطريقتهم الخاصة". بينما في الترجمة المعنونة بـ" رحلات إلى شبه الجزيرة العربية" ص٣٢٤، وورد النص فيها "ويُقال إنّ الوهّابيين قد أخذوا الكثير الكثير من الكتب" .

٢٢) محمد بن زلفة، عسير في عهد الملك عبد العزيز ،ص ص١٥-١٦ مع الهامش(١). ومن العجيب تلك المبالغة – المغلّفة بأسلوب إنشائي ركيك- التي صبغت قوله من أنّ هذه المدونات المحروقة ذاتُ شأنٍ وقيمةٍ عظيمة، حيث يقول :" كانت على مرّ العصور نوراً يهتدي به العلماء والفقهاء " وهذا تدليسٌ وقولٌ يفتقدُ الحقيقة، والصدق؛ إذْ إنّ مؤلفات آل الحفظي طافحة بما يُفيد أنّ هذا الإقليم كان يعيشُ في جهالةٍ، وأُمّيّة قبيل وصول الدولة السعودية الأولى.. ويُستغرب من صاحب كتاب "اليزيديون".. أن يتكئ على هذا القول المرسل، وعلى أُخرى هامشية ردّدها مُقمّش موسوعة الآثار والتراث والمعالم

=

=

=

السياحية في منطقة عسير، هامش، ص ١٠٨، دون أن يرفدها أو يعضدها، ويوثقها بمصدرٍ، بل هي رواية شفهية مرسلةٌ كسابقتها، ولا أصل صحيحٍ لها .

٢٣) آل قطب، المرجع نفسه ص ١٠٨ . وآل زلفة ، المرجع السابق ص١٧ .

٢٤) هذه مبالغة إمّا من الرّاوي كعادة الروايات الشفوية، وإما من الناقل كعادته في كتاباته، ومؤلفاته بخصوص عسير .

٢٥) دراسات من تاريخ عسير الحديث،ط١، ١٩٩١م، ص١١٦ .

٢٦) قلتُ: ولو اطلع هذا الباحثُ وغيره على مؤلفات العلامة أحمد الحفظي بن عبد القادر، ويأتي على رأسها شرحه المخطوط المسمى: المنير الزاهر في فضائل النبيّ الطاهر، فقد حشاه بنقول كثيرة من مؤلفات هؤلاء الصوفية التي كانت في مكتبته الخاصة التي انتقلت بعده إلى أبنائه، ومنهم ابراهيم الزمزمي(ت ١٢٥٧هـ)، ولكان قد خفّف من غلواء مبالغاته الساذجة من أنها كانت نوراً اهتدى بها علماء وفقهاء عسير – بزعمه – على مرّ العصور .

٢٧) تاريخ عبد الرحمن الحفظي، مخطوط أصله في مكتبة علي الحسن الحفظي، ومنه صورة لدى الباحث، حوادث سنة ١٢١٥هـ .

٢٨) أجاز العلماء حرق النسخ التالفة من المصحف إذا تعذر استخدامها، أو دفنها في مكان طاهر صيانة لها حتى لا توطأ بالأقدام أو تلقى على الأرض؛ واستدلّوا بما فعله الخليفة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رض الله عنه . أنظر ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ضبط نصه وعلق عليه ياسر ابراهيم، وإبراهيم الصبيحي، مكتبة الرشد، ط٢، الرياض ٢٠٠٣م، ١٠/ ٢٢٦ .

٢٩) يمكن الإستئناس بما ورد في بحث: حرق كتب المخالفين عند أئمة الدعوة في نجد، إعداد فوزي بن عبد الصمد فطاني، مركز سلف للبحوث والدراسات، نسخة الكترونية، في صفحاتٍ عديدة منها على سبيل المثال: ص١٩،١٥، ٢٥..وغيرها .

٣٠) وردت الإشارة في إحدى وثائق أحكام العلامة القاضي أحمد بن عبد القادر إلى بعض كتب الزيدية، والتصوّف كانت موجودة ومتداولة عند بعض الأسر، وبخاصّة السادة في رجال، وغيرهم، ومنها كتب" الأزهار" و" دلائل الخيرات " ..الخ . كما اشار الحسن الحفظي في كتاب: مجموع في تاريخ عسير، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ص٢٥٥،

=

=

=

إلى أنّ جيش عسير الذي غزا الحديدة، والزيدية قد احتمل الكثير من كتب الزيدية مما كان في خزانة العلامة محمد بن عبدالله الزواك صائم الدهر، ونقلوها إلى عسير .

٣١) هو جعفر بن أحمد بن عبد القادر بن بكري العجيلي، لا يعرف تاريخ مولده، ولا وفاته. ويغلب على الظنّ أنّه مات شاباً كلالةً، وكان مغموراً، وحصوراً ليس له ذريّة – على ما يظهر – ولذلك لم يُترجم له أحدٌ من أهل بيته، ولا من غيرهم، ولم يُعرف بأي نشاطٍ علميٍّ كغيره من أخوته، بيد أنني اطلعتُ على رسالة له خطية وجّهها إلى جاري بن ظافر(العسبلي)، كان حياً سنة ١٢٥٨هـ . . نسب له محمود شاكر بعض الاحداث قبل وصول نفوذ الدولة السعودية الأولى، ص ١٤٩، ومما يدلُّ على الزّيف المضحك أنّ المسمى عبدالله بن مسفر في كتابه(المصنوع) أخبار عسير، ص ١٢٠ قد أحال في بعض أخبار جدّ آل الحفظي على كتاب آخر– مختلق – عنوانه :" المستفيد بأخبار الوقائع من آل يزيد " ونسبه إلى موسى بن جعفر الحفظي، أي ابن السابق .

٣٢) لم تقتصر هذه المدونات الزائفة على اختلاق تاريخ سياسي لعسير في القرون الوسيطة، بل تجاوز الأمر إلى تزوير مدونات أُخرى– ركيكة، وهزيلة – نُسبت أيضاً إلى بعض آل الحفظي الذين عاصروا الدولة السعودية الأولى؛ ظاهرها تنويهٌ بدور العسيريين في بث الدعوة الاصلاحية، ونفوذ الدولة السعودية في جنوب الجزيرة العربية، وباطنها وصم تعاليمها بالدعوة إلى سفك الدماء المعصومة، وسبي النساء والذريّة بدعوى أنّ المخالفين لها هم مشركون، خارجون عن ملّة الإسلام...أحدها يسمى بـ" الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين. المنسوب للشيخ محمد بن هادي بن بكري العجيلي(نشره عبدالله أبو داهش)، والآخر يُسمى بـ" نفح العود والظل الممدود" المنسوب زوراً للعلامة محمد بن أحمد الحفظي، وهو في وريقات يتشابهُ في كثير من سياقاته مع الظل الممدود .

٣٣) عبدالله بن مسفر، أخبار عسير، ص١٩ .

٣٤) فؤاد حمزة، في بلاد عسير، مكتبة النصر الحديثة، الرياض،ط٢، ١٩٦٨م، ص ٨٥، هاشم النعمي، تاريخ عسير بين الماضي والحاضر، ص١٦ .

٣٥) كتاب الاكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير، تحقيق محمد بن علي الأكوع، صنعاء ٢٠٠٤م،١/ ٢٦٢ ، وعنز بن وائل قبيلة عدنانية انفصلت عن قبائل ربيعة في الجاهلية

=

=

=

وكانوا يقطنون في خيبر وعين التمر بالعراق، وعنز بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة هو أخو كل من بكر بن وائل و تغلب بن وائل. وكان لعنز بن وائل من الأولاد: إراشة ورفيدة. فولد إراشة بن عنز: قتان، وعسير، وجندلة. وولد رفيدة بن عنز: عبد الله، وعمرو وربيعة ومعاوية. ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، ط٥، ص٣٠٢ ،هشام بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق ناجي حسن، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٤م، ٩٤/١، وما بعدها

٣٦) كتاب التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب، تحقيق سعد ظلام، دار المنار، د ت، ص ١٣٨ .

٣٧) قمع المتجرّي على أولاد الشيخ بكري ،مخطوط منه صورة في مكتبة علي الحسن الحفظي، أبها، ورقة ٤ . وانظر تفاصيل أخرى عند هاشم النعمي، عسير قبيلةً وبلادا، مجلة العرب، ع ٣-٤(رمضان، شوال)/(مارس ١٩٩٢م) ص ١٨١- ١٩٩ .

٣٨) أنظر: جمهرة النسب، ج٢، تحقيق محمود العظم، دار اليقظة العربية، دمشق، د ت، ٢/ ٣١٧، وبالرّسم نفسه ورد في النسخة التي حققها ناجي حسن، ط١، مكتبة النهضة المصرية،١٩٨٨م، ص ٥٧٦ .

٣٩) بعضُ هذه المصادر أتت على ذكر بعض المواضع وخاصّة "جرش"؛ لكنّها جاءت تحت مسمى " السراة"، أو" السروات"، وجعلتها مقسمة بين نجد، والحجاز، واليمن . أنظر على سبيل المثال: البكري الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، حققه وضبطه مصطفى السقا، عالم الكتب،١٩٤٥م، ١/ في صفحات عديدة ، منها على سبيل المثال: ٩، ١١-١٥ ، وما بعدها . وانظر علي أحمد عسيري، عسير من ١٢٤٩-١٢٨٩هـ دراسة تاريخية، ص٢٥ -٢٦ .

٤٠) صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد الأكوع، ص ٢٥٦، وما بعدها . وهي : بني مغيد، وعلكم، وربيعة ورفيدة، وبني مالك ، وحاضرتها مدينة أبها .

٤١) فؤاد حمزة ، المرجع السابق، ص ٨٦ .

٤٢) المرجع نفسه، ص٨٧ .

=

=

=

٤٣) محمد آل زلفة، دراسات من تاريخ عسير الحديث، مطابع الشريف، ١٩٩١م، ص١٣، عبدالله أبوداهش، عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى(١٢١٥-١٢٣٣هـ)،نادي ابها الادبي، ١٩٨٩م، ص٩، علي عسيري، عسير من ١٢٤٩-١٢٨٩هـ، ص ٥٢؛ ويظهر أنهم اغترُّوا بما ورد عن بن مسفر في كتابه المسمى: السراج المنير في سيرة أمراء عسير، مؤسسة الرسالة ، د ت، د م ، ص ١١، ونقلوا عنه، وإن لم يصرّحوا . وهو من المؤلفات الملفقّة، بل يبدو من محتواه أنّه نسخة أخرى من الكتاب الزائف السالف الذكر: أخبار عسير .

٤٤) علي آل قطب، الأمراء اليزيديون، ص١٦ .

٤٥) عبد الرحمن آل حامد، العادات والتقاليد والأعراف في إقليم عسير، ص ١٥٠، وما بعدها .

٤٦) آل قطب، الأمراء اليزيديّون، ص٧٠ .

٤٧) مما ذاع وشاع، وجرى على الألسنة. ولم ينسبوه بهذا اللفظ لأحدٍ بعينه .

٤٨) تعمّدتُ أن يكون أغلب هذه المصادر التي استقيتُ منها النصوص هي مصادر تاريخية لمؤرخي اليمن، والحجاز، لكونها متاخمة، ومشتبكة جغرافياً مع عسير، والحجاز؛ أو ممن مرّ في بعض أراضي هذا الإقليم

٤٩) أنظر علي بن محمد العلوي، سيرة الهادي الى الحق يحي بن الحسين، تحقيق سهيل زكار، ط٢، دار الفكر، ١٩٨١م، في صفحاتٍ عديدة منها على سبيل المثال: ٣٩، ٦٤، ١٦١، ٣٣٧-٣٣٨ .

٥٠) صفة جزيرة العرب في صفحاتٍ عديدة منها: ٢٥٢- ٢٦٢، وغيرها .

٥١) تحقيق عبدالله الحبشي ، دار الحكمة اليمانية ،صنعاء ١٩٩٦هـ ، ص٢١٤ ، وما بعدها .

٥٢) انظر علي الحربي : المعجم الجغرافي لمنطقة عسير ، ٣/ ١٢٩٥- ١٢٩٧ .

٥٣) جنب، من قبائل المملكة العربية السعودية، وبلادها في وادي تثليث وفروعه في إمارة بلاد عسير، وهي تجمع عدداً من القبائل القحطانية، ومن أشهرها قبيلة عبيدة . مجلة العرب ج١،٢ س٢٨ رجب وشعبان، ١٤١٣هـ/ يناير ١٩٩٣م، ص ١٢٢ .

٥٤) السيرة ،ص ٢١٥-٢١٧ .

=

=

=

٥٥) مدينة قديمة مشهورة، هي قصبة مخلاف جرش. قال الهمداني في صفة جزيرة العرب، ص٢٥٦:" جُرش هي كَورَه نجد العليا وهي من ديار عنز ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير.. وهي الآن تقع في محافظة أحد رفيدة شرقيّ أبها(٣٠) كيلومتر .

٥٦) ألّفه مفرّح بن أحمد الرّبعي، تحقيق رضوان السيد، وعبد الغني عبد العاطي،ط١، دار المنتخب العربي، بيروت ١٩٩٣م،

٥٧) شكر بن أبي الفتوح الحسن بن أبي جعفر بن هاشم محمد بن موسى بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله بن إدريس، حكم مكة منذُ سنة ٤٣٠هـ. واختُلف في تاريخ وفاته ، ولعل الأقرب سنة ٤٥٣هـ . الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام،ج٢،ص٣٣٦ ، السباعي، تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، الرياض ١٩٩٩م،١/ ٢٣٠-٢٣١ .

٥٨) السيرة، ص ١٢٤- ١٢٥ .

٥٩) المصدر نفسه، ص ١٢٢ .

٦٠) المصدر نفسه ص ١٢١ .

٦١) علي عسيري، المرجع السابق، ص ١١٧ .

٦٢) السيرة ، ص ١٢٣ .

٦٣) لم يذكرها بالنّص لكنه أورد أوصافها، ولعلها بيشة وما حولها .

٦٤) ناصرخسروعلوي، سفر نامة، ترجمة يحي الخشّاب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م، ص ١٥٤ .

٦٥) أنظر: تاريخ عسير خلال خمسة قرون في رسالة ابراهيم بن علي زين العابدين الحفظي تحقيق وتعليق محمد بن مسلط الوصال البشري، د ت، ١٩٩٢م ، ص ٣٤ .

٦٦) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، اعتنى به هرتويغ درنبرغ، شالون، ١٨٩٧م، ص١٥. ويظهر أنّ هذا الاجتياح كان سبباً في اندراس قرية جرش . والله أعلم .

٦٧) علي عسيري، المرجع السابق، ص١١٧ .

٦٨) تزعم المؤلفات الزائفة إلى أنّه كان فيها سلطان قائم، وأنّ أمير عسير في هذا الوقت هو الأمير اليزيدي "موسى بن محمد بن عبدالله(٤٥٥هـ- ٥١٥هـ)". أنظرعلى سبيل المثال: بن مسلط البشري، تاريخ عسير..ص٣٤ .

=

=

=

٦٩) أنظر علي الحربي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية(منطقة عسير)، أبها،١٤١٧هـ ٣/ ١٢٦٧ .

٧٠) المرجع نفسه، ٣/ ١١٦٧، وما بعدها . وانظر عن العرين : علي الحربي، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية، منطقة عسير، ، ١١٦٧/٣، وما بعدها .

٧١) سليمان الثقفي، سيرة الإمام أحمد بن سليمان، تحقيق عبد الغني عبد العاطي، عين للدراسات والبحوث، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٢م، ص٣٨ .

٧٢) المصدر نفسه، ص١٩٦-١٩٧، ٢١٩ . وذكر ذلك في قصيدة له حيث يقول :

فدعوت أبطال الحجاز فبادروا هم روس قحطان وذروة مذحج

وفوارس من خثعم أكرم بهم وأتت إليّ عساكري وجحافلي

ما أيّ قحطان لهم بمُشاكل وصلوا من البلد البعيد الراحل

٧٣) تذكر المؤلفات الزائفة أن الذي كان يحكم عموم عسير والسرة بما فيها وادعة وبلدانها في هذا الوقت هو الأمير اليزيدي الأموي سليمان بن موسى من سنة ٥١٥ الى ٥٨٣هـ .

٧٤) هي راحة بني شريف في بلاد قحطان ، وسبق التعريف بها .

٧٥) سيرة الإمام احمد بن سليمان ، ص٩٩-١٠٠. .

٧٦) المصدر نفسه، ص٢٥٤ .

٧٧) مخطوطة :" الناصحة المشيرة بترك الاعتراض على السيرة"، أصلها في دار المخطوطات، الجامع الكبير في صنعاء، ورقة ١٦٢أ .

٧٨) انظر: حميد الشهيد المحلي، الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، تحقيق: المرتضى المحطوري(صنعاء ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م) ٢/٢٣٩، وأبو الحسن الخزرجي، العقد الفاخر الحسن، تحقيق عبدالله العبادي، وآخرين، ١/ ٣١٣. ٣/ ١٣٨٤ .

٧٩) صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى" تاريخ المستبصر" ، راجعه ممدوح حسن، مكتبة الثقافة الدينية ،ص ٤٩- ٥٠ .

٨٠) امتاع السامر بتكملة متعة الناظر، شعيب الدوسري، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة ١٣٦٥هـ، ص ١٤، وما بعدها .

٨١) مسالك الابصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، تحقيق حمزة عباس، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٢م، ص٥٤-٥٥ .

=

=

=

٨٢) على سبيل المثال ما وقع في سنتي ٨٣٧هـ، و٨٨٥هـ . أنظر عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن بن فهد، غاية المرام بأخبار سلطنة عمان الحرام، ج٢، تحقيق فهيم شلتوت،ط١، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى،١٩٨٨م ، ص٤٨٣، ٥٣٤ .

٨٣) تذهب هذه المزيّفات إلى أن الأمير علي بن وهاس اليزيدي كان يحكم بلاد عسير في الفترة(٨١٨-٨٤٥هـ)، والأمير ابراهيم بن عائض اليزيدي كان يحكم في الفترة (٨٦٢هـ-٩٤٢هـ). وهذا الأخير استمر في الحكم ٨٠ سنة بزعمهم .

٨٤) هو الامام الناصر الحسن بن عز الدين بن الحسن المؤيدي (٨٦٢- ٩٢٩هـ) كان أحد كبار علماء الزيدية في عصره، وله العديد من المؤلفات .دعا إلى نفسه آخر عقب وفاة والده في رجب سنة٩٠٠هـ، وبايعه جماعة من العلماء والأعيان وبث دعوته في سائر البلدان. لكنّ خالفه بعض قرابته، ونشبت بينهم الصراعات؛ فكان أن قام الإمام محمد بن علي السراجي الوشلي بالدعوة لنفسه في صعدة، وطرد منها الحسن، وبث دعاته إلى كثير من البلاد ومنها السراة. أنظر: عبد السلام الوجيه، أعلام المؤلفين الزيدية ط٢ مؤسسة الامام زيد، صنعاء ٢٠١٨م، ١/ ٣٢٩ .

٨٥) أنظر ترجمته في المرجع نفسه ٢/ ٣٠٢ .

٨٦) مدينة مشهورة. كانت قاعدة قبائل شريف ، وسنحان ، تقع في بلاد قحطان من بلاد عسير السراة وهي الآن مركز إمارة تابع لمحافظة ظهران الجنوب . الحربي، المعجم الجغرافي..١/ ٤٥٢، وما بعدها .

٨٧) يبدو أنّ هذا السوق قد تغيّر موعده بعد ذلك ، وأصبح يوم الإثنين – كما هو معروف الآن –

٨٨) أنظر: كتابه : مآثر الأبرار في تفصيل مجملات جواهر الأخبار ، حققه عبد السلام الوجيه وخالد قاسم، مؤسسة الامام زيد، صنعاء٢٠٠٢م، ٣/ ١٢٦٤ ، والشرفي، اللآلئ المضيئة ، مخطوط مصور – ق٢ ، ورقة ٥٦٤– ترقيم حديث

٨٩) هي الآن مسمى لمركز إداري لقبيلة الحاف، وآل الجحل من رفيدة من قحطان يتبعه عدد من القرى والمزارع، والقبائل يقع جنوب غرب محافظة أحد رفيدة.. ذكره ياقوت في معجمه، وذكر أنه مسمى لبلدة في جبال السراة . علي الحربي، المعجم الجغرافي..عسير، ٣/ ١٦٠٦، وما بعدها .

=

=

=

٩٠) هو أميرمكة الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان(٨٥٨-٩٣١هـ). خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين،ط١٥، بيروت،٢٠٠٢م، ٢/ ٤٩ .

٩١) عبد الرحمن الديبع، قرة العيون بأخبار اليمن الميمون، حققه محمد الأكوع، بيروت، ١٤٠٩هـ، ص٤٥٥ .

٩٢) الشريف بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة ، شارك والده في الحكم، ثم انفرد بإمارة مكة فحكمها من ٨٢٩هـ إلى أن عُزل سنة ٨٤٥هـ، وقبل وفاته أُعيد إلى الإمارة، وما لبث أن توفي سنة ٨٥٩هـ . النجم عمر بن فهد، اتحاف الورى، حققه فهيم بن محمد شلتوت، ط١، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى ١٤٠٣هـ ،٤/ ٣٥٥. والزركلي، الأعلام، ٢/ ٤٩ .

٩٣) اتحاف الورى بأخبار ام القرى، ٤/ ٧٠، وما بعدها .

٩٤) يحي بن صلاح بن أبي الفضائل . ذكر ابن أبي الرجال في مطلع البدور، تحقيق عبد الرقيب حجر، مركز آل البيت، صعدة ٢٠٠٤م، ٤/ ٤٩٦ .أنه كان له في العلوم يدٌ طولى، وكانت له إمارة في صعدة، ومعارضة للأئمة، ولكنه فشل في الحفاظ على إمارته بعد أن خذله من استعان بهم من القبائل. فسكن صنعاء حتى وفاته سنة ٩٠٨هـ .

٩٥) كانت قاعدة بلاد شهران، ووصفها ابن المجاور في عصره بأنها" أُم القرى، بلاد عز، وأنّ أعمالها تبلغ أربعين فرسخاً، وهي نجد اليمن، وهي قليلة الجبال مستوية البقاع . وكانت مستقر مشيخة أسرة آل الحفارص شيوخ شهران وغيرها في القرن العاشر. وهي الآن أحد أحياء مدينة خميس مشيط. أنظر عن ما سبق : ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص ٥٠، وعبدالله بن علي المؤيدي، التحفة العنبرية، الورقة٣٢١، وعلي إبراهيم الحربي ،المعجم الجغرافي، منطقة عسير، ٦٨٨/٢.

٩٦) طبقات الزيدية الصغرى(المستطاب) – مخطوط مصور – ورقة ٣٠٠؛ ومطلع البدور،٤/ ٤٩٦ .

٩٧) تزعم هذه المؤلفات، والمدونات أنّ حاكم عموم بلاد عسير في هذا الوقت هو الأمير ابراهيم بن عائض بن علي بن وهاس(٨٦٢-٩٤٢هـ/١٤٥٧- ١٥٣٥م). أنظرعلى سبيل المثال: امتاع السامر بتكملة متعة الناظرلشعيب الدوسري، القسم الثاني من الجزء الأول، =

=

=

دارة الملك عبد العزيز، ص٣٣٩؛ تاريخ عسير خلال خمسة قرون في رسالة ابراهيم الحفظي، تحقيق محمد بن مسلط البشري،ط١٤٢٣،٥هـ، د.م ،ص٣٤ .

٩٨) شركسي الأصل، فخدم الدولة العثمانية، وترقى في المناصب العسكرية حتى بلغ أرفع المناصب، وعندما خرج سليمان الخادم على رأس الحملة المتجهة للهند واليمن سنة٩٤٥هـ، كان في رفقته، ثم أصبح أحد الأمراء المشهورين ، وصدر تعيينه من المقام العالي عُين والياً على اليمن في في سنة ٩٥٥هـ/١٥٤٨م، بعد مقتل أويس باشا. ويُعد أحد القادة العثمانيين الذين ينسب إليهم الفتح العثماني الأول لليمن .أنظر قطب الدين النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني،ط٢،منشورات المدينة ١٩٨٦م ، في صفحات عديدة؛ سيد مصطفى سالم الفتح العثماني الأول لليمن ١٥٣٨- ١٦٣٥م، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ١٩٧٨م ، ص ١٨٧، وما بعدها .

٩٩) وصفه ابن ابي الرجال في ترجمته، من مطلع البدور،١/ ٣٦٣: بالسيد الكبير، وبأنّه من كبار العلماء في وقته، تولى القضاء لأخيه الامام الحسن، ولابن عمه الامام مجد الدين المؤيدي توفي سنة ٩٤٠هـ .

١٠٠) الزحيف، مآثر الابرار في تفصيل مجملات جواهر الاخبار، تحقيق عبد السلام الوجيه، خالد المتوكل،مؤسسة الامام زيد الثقافية،٣/ ١٤١٢-١٤١٣.

١٠١) في تلك المؤلفات والمدونات المزيّفة كان يحكم في هذه المدة الأمير: عبدالله بن ابراهيم بن عائض اليزيدي الأموي (٩٤٢-٩٨٢هـ/١٥٣٥- ١٥٧٤م).

١٠٢) هو الامام مجد الدين بن الامام الحسن بن عز الدين المؤيدي من أسرة حكم، وعلم دعا بالإمامة في سنة ٩٢٩هـ/١٥٢٢م لكن دعوته لم يُكتب لها الذيوع والانتشار لأن الامام يحي شرف الدين دعا في الوقت نفسه، فدانت له البلاد، ولم يستطع الصمود أمامه عندما اجتاح صعدة سنة ٩٤٠هـ/١٥٣٥م، وفرّ وأسرته وبعض أتباعه إلى الحرجة، وتوفي بها سنة ٩٤٢هـ . أنظر: مآثر الابرار ، ٣/ ١٣٧٧، وما بعدها . ويذكر ابن أبي الرجال في مطلع البدور،٢/٥٥ ، أنّه قد سلك طريق تهامة، وطلع إلى إقليم عسير عن طريق" درب ملوّح"- مدينة الدّرب حالياً- وذكر له حادثة فيها كرامة للإمام مجد الدّين مع شيخ بني شعبة عندما أراد سلب حصانه منه.

=

=

=

١٠٣) وردت في أكثر من مصدر: منها: مآثر الأبرار، ٣/ ١٣٨٥؛ مطلع البدور،٢/ ٥٥، ٥٦؛ العقيق اليماني–مخطوط، ووفيات سنة ٩٤٠هـ .

١٠٤) العقيق، حوادث ووفيات سنة٩٤٢هـ . وانظر : مآثر الأبرار، ٣/ ٣٨٦،

١٠٥) يذكر الزحيف أنّ أهل الحرجة قد بنوا قُبّةً على قبره، وجعلوا له نذوراً واسعة كان أولاده من بعده يقبضونها، وأنّ له ذريّةً كبيرة مقيمون في الحرجة، وتلك البلاد، وبقي عقبه بعد ذلك، وإن كانوا قد غيروا النسبة من" المؤيدي" إلى نسبةٍ أخرى معروفة الآن في أكثر من موضع من بلاد عسير.

١٠٦) هو أحد أبناء الامام شرف الدين يحي بن شمس الدين، وكان والياً لأبيه على صعدة، وقائداً لجبهتها في حرب العثمانيين، ولم تكن سيرته محمودة. ثم لمّا وقع الخلاف بين مطهر الابن الأكبر لشرف الدين يحي ،وبقية أبناء الامام وأبيهم انضم إلى أخيه مطهر، لكن الاتراك أسروه وأرسلوه الى الأستانة فمات في أثناء الطريق قريباً من ينبع. الكبسي، اللطائف السنية، ص١٧٥ . .

١٠٧) محمد بن إبراهيم شرف الدين : السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية – سيرة الإمام يحيى شرف الدين – تحقيق ودراسة ، زيد الفضيل،ط١، ٢٠١٢م، ص٣٠٩ .

١٠٨) المصدر نفسه، والصفحة .

١٠٩) مآثر الأبرار ٣/ ١٤١١ .

١١٠) مخطوط مصور، ورقة ٢١٦ ، من نسخة نصيف ، وانظر : التحفة العنبرية – مخطوط– ص ٣١٦ .

١١١) انظر عنها : الحجري : معجم بلدان اليمن وقبائلها ، تحقيق إسماعيل الأكوع ، ط٢ (دار الحكمة اليمانية، صنعاء ، ١٩٩٦) ٤٣١/٢. والمقحفي : مجموع البلدان والقبائل اليمنية، صنعاء ، ١٩٨٩م، ٢١١/٢.

١١٢) النعمان: العقيق اليماني، (حوادث ووفيات سنة ٩٧٢هـ) .

١١٣) النعمان ، العقيق، (حوادث سنة ٩٨٨هـ) .

١١٤) هذه المعلومة في المؤلفات التي كتبت عن عسير القبيلة أو عسير المنطقة، غير معروفة ولم ترد عندهم بهذا التفصيل والوضوح . وذهب بعض الباحثين إلى أنّه لم يبق من هذه العشيرة في عصرنا هذا إلا نفرين أو ثلاثة، منهم ابن معنّى. هاشم النعمي، تاريخ

=

=

=

عسير في الماضي والحاضر، ص١٩. وهذا دليلٌ آخر على عدم وجود تدوين، أو اهتمام بتتبع تاريخ الشخصيات المهمة في التاريخ القبلي العسيري، أو أن تغييبهم، وإغفال ذكرهم نتيجة التنافس بين شيوخ القبيلة على مشيخة القبيلة .

١١٥) بني مغيد : تُعد أقوى قبائل عسير وأكثرها شهرة وعدداً ، وتمتد قرى هذه القبيلة على طول وادي أبها وما ينجر إليه من روافد ويجاورها من الشرق شهران، ومن الشمال: علكم وبنو مالك ، ومن الغرب رجال ألمع، وما بعده من بلاد وائلة التي تُعدُّ في بني مغيد، ومن الجنوب قحطان وشهران، وبنو شعبة ، وحاضرتها أبها ، وهي بطون عدة منهم: آل مدحان... محمود شاكر : عسير ، ص ٥٥؛ هاشم النعمي : تاريخ عسير في الماضي والحاضر، ص ٦٩؛ ومقاله : عسير: قبيلة وبلادا، مجلة العرب،ع ٣-٤،(رمضان ، شوال ١٤١٢هـ/ مارس ١٩٩٢،ص ١٩٥؛ علي عسيري : عسير من ١٢٤٩هـ - ١٢٨٩هـ، دراسة تاريخية، ص ٨٣.

١١٦) هو كتاب :التحفة العنبرية في المجددين من خير البرية، ألّفه محمد بن عبدالله المؤيدي، أبو علامة. ما يزال مخطوطاً، وأصلهُ في مكتبة الجامع الكبير بصنعاء، ومنه نسخة لدى الباحث، وقد قمتُ باستخلاص هذا النّص وتحقيقه، ونشره بعنوان" رحلة الامام عبدالله بن علي المؤيدي إلى بلاد عسير(٩٩٤هـ-١٠٠٦هـ)/١٥٨٥-١٥٩٧م) في مجلة كلية اللغة العربية ، جامعة المنصورة، ع ٣٤، ٢٠١٥م ص ٢٦٥-٣١٧ .

١١٧) يبدو أنّ هذا كان أمراً سائداً في قبائل الإقليم عامة، وشهران خاصّة..أنظر توضيح ذلك عند علي عسيري، المرجع السابق، ص ١١٤ .

١١٨) مطهر الجرموزي، النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، نشرته مخطوطاً مصوراً مكتبة اليمن الكبرى، ص١٨٥،.١٨٦

١١٩) يُستشفّ هذا من رسالة الامام الى العلامة أحمد بن علي المعافا في المخلاف السليماني، التحفة العنبرية، ورقة ٣٢٢ب .

١٢٠) يذكر هاشم النعمي أن شيوخ القبائل في عسير قديما لا يقبل التنازل عن منصبه مهما بلغ تذمر القبيلة منه، ولذلك قد تلجأ القبيلة إلى اغتياله . أنظر علي احمد عسيري، عسير من ١٢٤٩-١٢٨٩هـ دراسة تاريخية، نادي أبها الأدبي، ١٩٨٧م، ص ١٠٦، نقلاً

=

=

=

عن هاشم النعمي تاريخ عسير، ص ٦٠ . وانظر عبدالكريم عائض آل طالع، قبيلة شهران بين الماضي والحاضر، بحوث تاريخية وجغرافية واجتماعية، د ت، د م، ص٤١ .

١٢١) لم ترد الإشارة إليه، أو إلى آل الحفارص البتّة في كل ما كتب عن شهران في العصر الحاضر، ولم يُذكروا ضمن مشايخ شهران .أنظر على سبيل المثال: عبدالكريم عائض آل طالع، قبيلة شهران بين الماضي والحاضر، ص ٣٦، وما بعدها . علي بن سعد آل زحيفة الشهراني، التاريخ الثقافي لقبيلة شهران العريضة من العصر الأموي إلى قيام الدولة السعودية، رسالة علمية مقدمة إلى أكاديمية الدراسات الاسلامية ، جامعة ماليا، كوالا لمبور، ٢٠١٦م، ص٢٢٧، وما بعدها .

١٢٢) ذكر ذلك أكثر من مؤرخ منهم: الجرموزي: النبذة المشيرة إلى جمل من عيون السيرة، ص ١٨٦م؛ كما ذكرها الشرفي في اللآليء المضيئة، ق٣، ورقة ٢٤٩؛ النعمان : العقيق اليماني ، ورقة ٣٨٣-٣٨٤؛ الجنداري، الجامع الوجيز، ورقة ١٤٢.. وغيرها .

١٢٣) مناظر: كانت إحدى القرى التي تقع على وادي أبها ، وهي تقوم على تلٍ صخري. وكانت قرية عشيرة بني مدحان وبها سوقهم المشهور بسوق آل مدحان. وهو سوق الثلاثاء الآن . ويذهب بعض الباحثين إلى أن مناظر هي أصل مدينة أبها، حيث قامت بعده بقية الأحياء الأخرى . انظر عن كل ما سبق : هاشم النعمي : تاريخ عسير، ص ١٩، علي الحربي : المعجم الجغرافي – منطقة عسير – ١/١٢٩، علي آل عمر عسيري : أبها في التاريخ والأدب ، ص ٣٢-٣٣، جون، فيلبي، مرتفعات الجزيرة العربية، تعريب : حسن مصطفى، ١/٢٨٢. فؤاد حمزه : في بلاد عسير : ص١٢٤،١١، ١٢٧.

١٢٤) التحفة العنبرية، ورقة ٣٢٢أ . وبقصدُ أنّ علماء المخلاف السليماني الذين تولوا عقد الاتفاق بين الامام، وبين آل مدحان شيوخ قبيلة بني مغيد من عسير؛ قد اطمأنّت نفوسهم عندما وصل به هؤلاء الشيوخ القبليين إلى قريتهم مناظر.

١٢٥) في زعم تلك المدونات أنّ الذي كان يحكم عسير في هذه السنة التي وصل فيها الامام الى مناظر في أبها كام " ثامر بن عبدالله اليزيدي (٩٨٩- ٩٩٨هـ/١٥٨١- ١٥٨م)، وخلَفَه أخوه سالم بن عبدالله(٩٩٨-١٠٠٥هـ/١٥٨٩- ١٥٩٦م) .

١٢٦) وتسمى شهران العريضة لاتساعها وكبر مساحتها وكثرة عددها ، ويحددها الهمداني قديماً من جرش وأول سراة الأزد، بينما يذكر هاشم النعمي أنّ حدودها من الجنوب

=

=

=

قحطان ، ومن الغرب بني مغيد من عسير وبللحمر وبنو شهر وبنو عمرو، ومن الشمال: الشلاوة ،وسبيع وبلقرن، ومن الشرق تثليث، والقبائل القحطانية، وهي قبائل كثيرة . انظر: الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٦٢، فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ١٥٨؛ شرف البركاتي : الرحلة اليمانية ، ص ٦٧، هاشم النعمي: عسير ص ٤٥-٤٧ ،عبدالكريم آل طالع، قبيلة شهران بين الماضي والحاضر، الرياض، د.ت، ص٣٦. وغيرهم.

١٢٧) التحفة العنبرية، الورقة ٣٢٢أ. وهذا النصّ المخطوط يكاد يكون هو النصّ الوحيد إلى الآن على حدّ علمي الذي نوّه عن هذه الشخصية، وذكرها بالاسم من زعامات شهران، ولا يُعرف عنها الآن شيئاً. ولم يرد في كلّ ما اطلعتُ عليه مما كُتب عن قبيلة شهران، أو عسير بعامة عن عشيرة آل الحفارص، ولا عن هذا الشيخ القبلي الجليل .

١٢٨) الواديين: مسمى لقرية، أو مجموعة قرى تقع الى الجنوب الشرقي من أبها، وتبعد عنها قرابة ٤٥كم، واصبح المسمى أيضاً يطلق على مركز إداري لقبيلة الحاف، وآل الجحل من رفيدة من قحطان، وهي سهل منبسط يقع شمال جبل صحن تمنية. (الحربي : المعجم الجغرافي: ١٦٥/٣). وقد ذكر ياقوت الواديين وأنها بلدة في جبال السراة ، لكنه أغرب حين ذكر أنها بقرب مدائن لوط. ولعلّه يعني بلدة أخرى غير الواديين هذه .، ياقوت الحموي : معجم البلدان، ٣٤٦/٥.

١٢٩) رفيدة : قبيلة عدنانية من بني عنز بن وائل ، وتقع منازلها مع عبيدة وجارمة، وتُحد أراضي هذه القبائل الثلاث من الشمال بلاد شهران ، ومن الجنوب بني بشر وشريف، ومن الشرف أسافل وادي طريب ، ومن الغرب الجهرة وآل حسان وتنطوي على عدد من الأفخاذ . انظر التفاصيل عند : النعمي : تاريخ عسير ، ص ٨٦، وفؤاد حمزة : في بلاد عسير ، ص ١٥٤ ومحمود شاكر : عسير ، ص ١٠٥، وعلي أحمد عسيري: عسير دراسة تاريخية، ص ٩٧ وعبدالله بن مسفر : أخبار عسير ، ص ١٤.

١٣٠) قحطان: مسمى لقبائل عربية من مذحج وهمدان بعضها فروع متحضرة وأخرى عشائر لا تزال على البداوة ، وهي ممتدة في أكثر من مكان ، والمقصود هنا هم الذين يسكنون ما بين ظهران الجنوب حتى وادي شهران . وتنطوي على عدة قبائل . انظر: التفاصيل عند : النعمي : تاريخ عسير ص ٨١، وما بعدها . وفؤاد حمزة : في بلاد عسير، ص ١٥٣ وما بعدها وعلي عسيري : عسير دراسة تاريخية ، ص ٩٤، وما بعدها .

=

=

=

١٣١) المصدر السابق، والورقة .

١٣٢) المصدر نفسه، ورقة ٣٢٧ب ،والنعمان : العقيق اليماني ، ورقة ٣٢٤

١٣٣) عاطف بن بشر زعيم بني بشر من قحطان : لم أقف عليه في المصادر المتاحة . ويبدو أنّه زعيم قبيلة بني بشر، وبني بشر من قحطان، تقع منازلهم على ضفاف وادي راحة ووادي يعوظ، وهم عدد كبير من العشائر يقطنون السراة وتهامة . علي عسيري: عسير..، ص ٩٥

١٣٤) أنظر على سبيل المثال : تاريخ عسير رؤية تاريخية خلال خمسة قرون..ص٢٩، وما بعدها .

١٣٥) في كتابه بهجة الزمن في تاريخ اليمن، حققته: أمة الغفور الأمير بمسمى ؛ الأوضاع السياسية في اليمن في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية(صنعاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م) ٧٤٨/٢، وأخبرني بعضهم أنّه اطلع على وثيقة تحوي تولية هذا الكبسي الفصل في الخصومات في تلك الجهة من شهران . والله أعلم .

١٣٦) الجرموزي : الجوهرة المنيرة في جمل من عيون السيرة – سيرة الإمام المؤيد محمد بن القاسم – حققته : أمة الملك الثور، بمسمى : بناء الدولة القاسمية في اليمن في عهد الإمام المؤيد محمد بن القاسم ، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية (صنعاء، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م)، ٨٩٢/٣.

١٣٧) بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ٣/ ١٣٠٠ .

١٣٨) المصدر نفسه، ٣/ ١٣٥٥ .

١٣٩) المصدر نفسه، ٣/ ١٣٧٣، ١٣٧٨ .

١٤٠) أنظر المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، الجيل الجديد، صنعاء ٢٠١١م ٢/ ١٢٧٢ .

١٤١) مضفاة مسمى لقريتين من قرى بللسمر و باللحمر. حمد الجاسر، المعجم،١١٨٢/٢، ويذكر الحربي في معجمه ١٥١٤/٣ : أنّ مضفاة قرية من قرى بللسمر تقع جنوب اثنين باللسمر بمسافة ٦ أكيال .

١٤٢) ويقصد بلاد حلي بن يعقوب، وأمرائها من بني حرام.

=

=

=

١٤٣) المصدر السابق ، ٣/ ١٢١٤ .

١٤٤) تزعم تلك المؤلفات المزيفة إلى أن عسير كان يحكمها مجموعة من الأمراء اليزيديين، الذين يتوارثون السلطة والحكم في هذه الفترة بدءاً من الأمير علي بن عبد الله بن علي اليزيدي الأموي ، وحكم بين(١٠٢٥هـ-١٠٥٨هـ/١٦١٦-١٦٤٨م) الأمير يحي بن عبد الرحمن بن علي اليزيدي، ومحمد بن أحمد بن يحي (١٠٩٠هـ-١١٦٥هـ/-١٦٧٩-١٧١٠م) .

١٤٥) المصدر نفسه، ٣/ ١٢٥٤ .

١٤٦) بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ٣/ ١٤٠٣ .

١٤٧) ذكر الجرافي في المقتطف من تاريخ اليمن، مؤسسة دار الكتاب الحديث،ط٢، بيروت ١٩٨٤م، ص١٩٦، وعبدالرحمن البهكلي في: خلاصة العسجد من حوادث دولة الشريف محمد بن أحمد، تحقيق ميشيل توشيرير، وعدنان درويش، دمشق، ٢٠٠٠م ص٢٠٨، أنّ اسمه أحمد الحسني، وأنّ أصله من المغرب، وأنّه كان في أول أمره درويشاً سيّاحاً، ثم ادّعى أنه المهدي المنتظر، ويعمل الطلاسم، فاغترّت به جموع من العامّة..الخ .

١٤٨) البهكلي، خلاصة العسجد ص٢١٠

١٤٩) البهكلي، خلاصة العسجد، ص٢١٣؛ والجرافي، المقتطف، ص١٩٦ .

١٥٠) المصدران السابقان، والصفحة نفسها .

١٥١) البهكلي، خلاصة العسجد، ص ٣٠٠، ٣٥٦، ٣٦٣ .

١٥٢) كل ما ذكر سابقا من المؤلفات الزائفة المزوّرة ، أو تلك التي نقلت عنها .أنظر على سبيل المثال: امتاع السامر، ط البابي الحلبي، ص ٦٧، حاشية(١)، عسير في مذكرات سليمان الكمالي، المنسوب لأحمد بن حسن النعمي، ص١٣٣؛ تاريخ عسير في رسالة زين العابدين الحفظي، ص٣٥؛ عبدالله بن حميد، دور أمراء عسير في نشر الدعوة السلفية، مجلة العرب،ج١١، ١٢، السنة التاسعة جماديان، ١٣٩٥، ص٨٦٣. ومن الغرائب أنّه اعتمد على ورقة أطلعه عليها بعضهم في أولها نسبٌ يصلُ بعائض بن مرعي إلى يزيد بن معاوية، لا يبعد أن تكون مدسوسة مثلها مثل غيرها من المدسوسات المزيفات؛ ومقدمة تحقيقه للكتاب المنحول لعاكش المعنون بـ" الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين محمد بن عائض"، دار الفكر، دمشق، علي عسيري، =

=

=

عسير من ١٢٤٩هـ– ١٢٨٩هـ/ ١٨٣٣م– ١٨٧٢م ، ص١٥٩، محمود شاكر، عسير ، ص١٤٩، وما بعدها، آل زلفة، دراسات في تاريخ عسير الحديث، ص١٨، آل قطب، الأمراء اليزيديون، ، ص ١٢٦، ١٢٨، وما بعدها ..إلى غير ذلك .

١٥٣) هو: العلامة أحمد بن عبد القادر بن بكري بن محمد بن جغثم العجيلي(١١٤٥هـ–١٢٣٣هـ) ينتهي نسبه إلى الفقيه أحمد بن موسى عجيل صاحب بيت الفقيه في تهامة اليمن؛ ولد في بلدة رجال، وتلقى العلم على يدي والده، وأعمامه، ثم خرج إلى المخلاف السليماني، وأخذ عن بعض علمائه، ثم ارتحل في طلب العلم إلى زبيد وغيرها؛ ويعدُّ أبرز علماء، وشخصيّات البيت الحفظي؛ أنظر: أحمد بن محمد الحفظي، عبق الراحلين، تراجم موسعة لبعض علماء آل الحفظي، دار الطرفين، الطائف، ١٤٤٥هـ، ص٢١، وما بعدها .

١٥٤) يذهب عددٌ من المؤرخين المعاصرين إلى حقيقة أن بلاد عسير قبيل وصول آل سعود، ودخولها تحت سلطتهم محكومة برؤسائها وشيوخها من القبائل المحليين، وأنهم قبائل متنافرة لا يربطها رابط، ولا يجمعها غاية . أنظر على سبيل المثال: محمد عمر رفيع، في ربوع عسير (ذكريات وتاريخ)،دار العهد الجديد، القاهرة ١٩٥٤م ص١٧٧ .

١٥٥) مسائل مفيدة وأبحاث عديدة وصلت من أحمد بن عبد القادر بن بكري العجيلي، مخطوط في ٦٤ ورقة ضمن مجموع، الكتاب الثاني عشر، أصله في مكتبة آل يحي برقم ١٤ فقه ، الأحقاف ، تريم، الورقة ٦٣، .

١٥٦) المصدر نفسه، الورقات: ١٨٧أ، ١٨٧ب .

١٥٧) المصدر نفسه، ورقة ١٨٤ أ من المجموع .

١٥٨) المصدر نفسه، الورقة ٢١٣ب، ٢١٤أ من المجموع .

١٥٩) وثيقة عهد قديمة، نقلها بخطه العلامة أحمد بن عبد القادر. أصلها في مكتبة علي الحسن الحفظي، ومنها صورة في مكتبة الملك فهد الوطنية، ضمن مجموعة الحفظي

١٦٠) يقصدُ وصول نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى عسير، ودخول البلاد تحت سلطتها سنة ١٢١٥هـ/١٨٠٠م، كما هو معلوم .

١٦١) لطف الله جحاف، درر نحور العين بسيرة الامام المنصور علي وأعلام دولته الميامين(١١٨٩–١٢٢٤هـ) الورقة ٤٤٧ من مخطوطة مكتبة الامام زيد، صنعاء، وانظر

=

=

=

: ص ٤٨٣ من المطبوعة، تحقيق ابراهيم المقحفي، مكتبة الارشاد، ط١، صنعاء ٢٠٠٤م .

١٦٢) هو: السيّد العلاّمة الشريف أحمد بن ابراهيم بن أحمد النعمي الملقّب الأخرش ، ينتهي نسبه إلى نهمة بن علي بن فليتة بن الحسين بن يوسف نعمة الأكبر. قال القبي في ترجمته أثناء الكلام على العلماء من السادة آل النعمي:" السادة المشهورين بـ" الخرش" وفيهم علماء نحارير سكنوا بوادي بيش، ورجال ألمع..أشهرهم أحمد بن إبراهيم، وله ديوان شعر. الجواهر اللطاف المتوجة بها هامات الأشراف من سكان صبيا والمخلاف، مخطوط، مكتبة الامام زيد، صنعاء، الورقة ٢٨٠، وما بعدها، وأحمد بن عيسى النعمي، السادة الأشراف آل النعمي(تاريخهم- مساكنهم- أنسابهم- أعلامهم خلال ثمانية قرون) شركة الريان، بيروت ٢٠١٧م ص٢٧، وما بعدها.

١٦٣) محمد بن حيدر، الجواهر اللطاف المتوجة بها هامات الاشراف من سكان صبيا والمخلاف -مخطوط مصور- ضمن مجموع عن نسخة الامام زيد، صنعاء . الورقة ٢٨٠ أ .

١٦٤) تعدُّ من أهم المدن في تهامة اليمن، وهي في المرتبة الثانية بعد مدينة زبيد، وتعود نشأتها إلى الفقيه والعلاّمة، المشهور أحمد بن موسى العجيل في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، ويُقال إلى عمه إبراهيم بن علي العجيل (.ت٦٤٣هـ/١٢٤٢م". وقد أضحت من حواضر العلم لكثرة الأسر العلمية بها. أنظر: محمد بن يوسف الجندي، السلوك في طبقات العلماء والملوك، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الارشاد، ١٩٨٣، ١/ ٤٧٨.، احمد بن عبداللطيف الشرجي، طبقات الخواص أهل الصدق والاخلاص، الدار اليمنية للنشر والتوزيع، صنعاء ١٩٨٦م، ص ٤٦ . .

١٦٥) وردت هذه العبارة التي تشوبها المبالغة -على ما يبدو- في رسالة مخطوطة متداولة منسوبة لإبراهيم زين العابدين الحفظي، ص ٥، ٦(ترقيم حديث)، ووثيقة نسب الفقهاء آل عجيل برجال ألمع، ورقة ١.(نقلا عن أبي داهش، أهل السراة في القرون الاسلامية الوسيطة،ص٧٩)، وانظر: بن مسلط، تاريخ عسير(رؤية تاريخية...)، ص٣١ .

=

=

=

١٦٦) أنظر على سبيل المثال: عبد الله أبو داهش، أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والادب بجنوبي الجزيرة العربية، طبعته الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤١٩هـ، ص ٢١، وما بعدها، آل زلفة، دراسات من تاريخ عسير الحديث، ص ١٨،

١٦٧) ومنهم هاشم النعمي، ومحمد العقيلي، ومحمد رفيع، وعبد الله أبو داهش، وغيثان بن جريس..وغيرهم .

١٦٨) استعرض عبد الله أبو داهش الكثير جدا من المادة العلمية – المبالغ فيها– في كتابه: أهل السراة في الجاهلية والاسلام حتى نهاية القرن الرابع الهجري، اصدارات نادي أبها الادبي، ٢٠٠٦م .

١٦٩) هاشم النعمي،"عسير قبيلةً وبلاداً"، ص ١٩٧ .

١٧٠) هاشم النعمي، المرجع نفسه ص ١٩٨، عبد الله أبو داهش أهل السراة في القرون الاسلامية الوسيطة، ص٤١٩ .

١٧١) ابن جبير، الرحلة، منشورات دار الهلال، بيروت، د ت ، ص ٩٨–١٠٠ .

١٧٢) يرى أبو داهش أنّ هذا الوصف ربما قصد به ابن جبير جماعة، وليس عموم سكان السراة .

١٧٣) ابو داهش، أهل السراة ..ص ٤٢١، وما بعدها .

١٧٤) الأنساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، دارالجنان،ط١، بيروت ١٩٨٨م ، ٣/ ٢٥١ .

١٧٥) اللباب في تهذيب الأنساب، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ، بغداد، د ت، ٢/ ١١٥ .

١٧٦) مسالك الابصار في ممالك الأمصار، السفر الرابع، ص٥٥ .

١٧٧) مصطفى الحموي، فوائد لارتحال، مخطوط، نسخة د. عائض الردادي، الرياض. ق١، ورقة ٩٩٤ .

١٧٨) التحفة العنبرية، الورقة ٣٢٢أ .

١٧٩) أنظر: مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير، علّق عليها محمد بن أحمد العقيلي، نادي أبها الأدبي، ١٩٨٤م، ص ١٩ .

=

=

=

١٨٠) مسائل مفيدة وأبحاث عديدة وصلت من أحمد بن عبد القادر بن بكري ، الورقات: ١٨٩ب، الى ١٩٢أ .

١٨١) كان حاكماً بين سنتي(١٢٠٢هـ . ١٢٢٨هـ / ١٧٨٧م . ١٨١٣م). وتوفي سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٧م .

١٨٢) ذكريات الشوكاني(رسائل المؤرخ اليمني محمد بن علي الشوكاني)، نص رقم (٢٣) حققها صلاح رمضان محمود ، دار العودة، بيروت، ص٩٥

١٨٣) محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع لمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق حسين عبدالله العمري، ط٢، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨م ، ص٥٢٥ .

١٨٤) حوليات النعمي التهامية (من تاريخ اليمن الحديث ١٢١٥-١٢٥٨هـ -١٨٠٠-١٨٤٢م) تحقيق ودراسة حسين العمري، دار الفكر، دمشق ١٩٨٧م، ص٣٥

١٨٥) تاريخ عسير لعبد الرحمن بن محمد الحفظي، تكملة ابنه القاضي حسن بن محمد، مخطوط بمكتبة علي الحسن الحفظي، الورقة (١) .

١٨٦) جون لويس بوركهارت، رحلات إلى شبه الجزيرة العربية، ترجمة هتاف عبد الله، مؤسسة الانتشار العربي، ط١، بيروت، ٢٠٠٥م .ص ٣٧٣ . وقام بعض الباحثين، ومنهم عبد الله أبو داهش، وأحمد آل فائع بمناقشة ما ورد عن العلامة الشوكاني، وبوركهارات. أنظر على سبيل المثال: عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى(١٢١٥-١٢٣٣هـ) ، نادي أبها الأدبي، ١٤١٠هـ، ص ١٠؛ دور آل المتحمي، ص٥٢

١٨٧) أنظر على سبيل المثال: الشوكاني، البدر الطالع، ص٥٢٥ . وانظر مقدمة عبدالله أبو داهش في كتابه السالف: اثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والادب بجنوبي الجزيرة العربية، وفي صفحاتٍ عديدة ..ومنه ص٧٨، وما بعدها. وفي كثير من المؤلفات التي تناولت عسير في عهد الدولة السعودية، وأثر الدعوة الاصلاحية .

١٨٨) وردت إشارات في رسائل شيوخ محمد بن موسى إليه كالعلامة عمر بن عبد الرحيم البصري(ت١٠٣٤هـ)، وأحمد القشاشي(ت ١٠٧١هـ) يحثونه على الصبر في دعوة أهل بلدته إلى الشريعة الإسلامية. مجموعة رسائل في مكتبة علي الحسن الحفظي الخاصة بأبها .

=

=

=

١٨٩) قام بعض الباحثين، ومنهم عبد الله أبو داهش، وأحمد آل فائع بمناقشة ما ورد عن العلامة الشوكاني، وبوركهارات. أنظر على سبيل المثال: عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى(١٢١٥-١٢٣٣هـ) ، نادي أبها الأدبي، ١٤١٠هـ، ص ١٠؛ دور آل المتحمي، ص٥٢ .

١٩٠) أنظر أحمد الحفظي ،الوفاء بالعهود لأصحاب اللحود أصله في مكتبة الأحقاف، ورقة ٥٤أ، ٥٥أ .

١٩١) من استطرد في هذا الموضوع كانت أكثر شواهده من تهامة كمخلاف حلي، وما تاخمه مما ينتمي أكثره إلى مناطق أخرى لا صلة لها بإقليم عسير، ولا بحدوده المعروفة قبل عشرات السنين، وحالياً . ولعلّ هناك تفصيلات سترِدُ إن شاء الله في دراستي المعنونة بـ" العلامة أحمد بن عبد القادر الحفظي، حياته وآثاره العلمية " .